

حياء المرأة

عصمة وأنوثة و زينة

حمد بن موسى الشريف

دار الاندلس الخضراء

حيـــاء المـــرأة

عصمة وأنوثة وزينة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ — ٢٠١٠م









جدة / هاتف [illegible]
/ فاكس [illegible]
الرياض / هاتف [illegible]
/ فاكس [illegible]
التوزيع / [illegible]

للمكتبات: حي السلامة
هاتف - فاكس [illegible]
حي الثغر - شارع بالعطب
هاتف [illegible] - فاكس [illegible]

البريد الإلكتروني
[illegible]
ص.ب [illegible]


بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾[1]

وقال ﷺ: "الحياء لا يأتي إلا بخير".[2]

وقال الشاعر:

إذا قَلّ ماء الوجه قَــلّ حيــاؤه ... ولا خير في وجه إذا قَلّ مــاؤه

حياءك فاحفظه عليــك فإنمــا ... يدل على وجه الكــريم حيــاؤه

---

(١) سورة القصص، آية ٢٥.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن المرأة هي حصن المجتمع الحصين، وسياجه المتين، فمتى ما انهدم هذا الحصن ووقع ذلك السياج فالمجتمع آنذاك عرضة لخطر شديد.

وقد عرف هذا الأعداء معرفة تامة، فلذلك وجهوا سهامهم نحو المرأة، ونصبوا لها الكمائن، ودبروا لها المكائد، ووعدوها ومَنّوها، فكانوا كما قال الله تعالى عن الشيطان وأوليائه:

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[1].

---

(١) سورة النساء: آية ١٢٠.

وقد حرص الاستخراب[1] العالمي أولَ ما وطئت أقدامه الدنسة أرض الإسلام أن يُمَكِّنَ للنساء البعيدات عن المنهج الإسلامي، الفاسقات عن أوامر الشريعة، فجعل لهن مكانة ومنـــزلة حرسها بالحراب، وأنشأ لهن الاتحادات النسائية، والمؤسسات المشبوهة ليُضللن سائر النساء فيعود المجتمع خراباً يَباباً، قد صنعوا هذا في كل بلد وطئوه، وفي كل مجتمع ابتُلي بتسلطهم عليه.

ثم إن الله تعالى أذن بانقلاعهم من ديار الإسلام، وخروجهم منها، وأخذ المجتمع الإسلامي في التعافي قليلاً قليلاً إلى أن انبلج فجر الصحوة، فرجعت أكثر النسوة إلى الله تعالى، وأقبلن على الإسلام عقيدة وشريعة ومنهاجاً ولله الحمد والمنة، لكن هذا أغاظ الكفار والفجار الذين رأوا بنياهم قد تقوض من قواعده وخر عليهم السقف من فوقهم فعمدوا إلى حيلة يحتالون بها على النساء ليبعدوهنّ عن الالتـــزام الحقيقي، فسوّلوا لهن الأخذ بجملة من الأمور في السمت الظاهر والباطن تُفضي بهن إلى أن يكن مستمسكات ملتـــزمات

---

(١) جرت العادة باستعمال كلمة الاستعمار لكني رأيت أن كلمة الاستخراب أوفى بالمقصود وأدل عليه.

بالاسم دون المسمى، وبعَرض الأمور دون جوهرها، وزين لهن ذلك كل التـــزيين حتى صار المجتمع ينظر إلى أصناف من النساء يزعمن أهن ملتـــزمات بالإسلام فلا يرى لذلك الالتزام إلا أثراً ضعيفاً، ودع عنك المتفلتات والبعيدات فأولئك حالهن أسوأ.

هذا الذي فعله أعداء الإسلام في المرأة المسلمة، وهنالك عوامل ومشكلات وأسباب أخرى اجتمعت مع السبب المذكور آنفاً لتهدم الحياء في نفوس كثير من النساء والفتيات.

ولما كان الموضوع الذي أريد طرقه هو حياء المرأة، فإن الحديث سينصب عليه، ويوضح أن كثيراً من النساء المسلمات قد صار هذا الحياء عندهن مفقوداً أو ضعيفاً إلى حَد مُريع، وأنه قد أثر هذا الفقد أو الضعف على سلوكهن وطرائق عيشهن تأثيراً بالغ الخطورة، فعمدت إلى كتابة شيء يكون منبهاً لأخواتي وبناتي اللواتي سلكن ذلك الطريق، ولأنبه اللواتي مازال عندهن الحياء وافراً حتى لا يقعن فيما وقع فيه أولئك.

فكانت هذه الرسالة علاجاً ووقاية، ونصيحةً ومحاولةَ هداية، عسى أن تثمر تغييراً في السلوك وعودة إلى الاستمساك بالحياء، إن شاء الله تعالى.(١)

وقد جعلتها في مقدمة ومباحث، تحدثت فيها عن العلل وسبل العلاج، وضربت لذلك أمثلة، وسقت أخباراً وقصصاً، وكل ذلك رجاء أن تتعظ بها القارئات، وتستمسك بما فيها من خير قوافل التائبات العائدات، وتهتدي بهديها سائر النسوة والفتيات.(٢)

---

(١) ولقد علمت أن أكثر النساء لا يقرأن؛ فهذه علة كامنة في المجتمع -ذكوره وإناثه، وإن كان حال النسوة في القراءة أسوأ وأضعف- وهذا الذي يزهد في كتابة شيء لعوامهن، لكن الناشر وعد أنه سينشر هذا الكتاب نشراً أشبه بالحملة منه بالنشر العادي، وأنه سيصل إلى نساء وفتيات كثيرات، فهذا الذي رغبني في الكتابة، وحضّني على تسطير هذه المقالة، وعسى أن يثيبني الله عليه، ولا يكلني لتلك الأغراض والمقاصد.

(٢) وقد عرضت هذه الرسالة -بعد فراغي من تصنيفها وقبل طباعتها- على نساء فضليات لهن تأثير وكلمة في مجتمعاتهن، وتجربة طويلة لينظرن في الكتاب، ويضعن ما شئنه من تعليقات وتصحيحات، أثبت ما رأيته مناسباً منها في موضعها من الرسالة ولو خالفت ما أذهب إليه.

ولقد تركت في هذه الرسالة ترجمة الأعلام لكثرتها وإيثاراً للاختصار؛ لأني أريد من النساء والفتيات أن يقبلن على قراءة هذه الرسالة، فعملت على اختصارها، ومن لوازم هذا الاختصار ترك الترجمة للأعلام.

هذا وقد كان ينبغي لهذا الكتاب أن يكون مخاطباً للذكور والإناث؛ وذلك أن هذا الخلق الكريم لا ينبغي أن يُفقد في رجل ولا امرأة، وزينة الرجل والمرأة الحياء، وقد حدثت في المجتمع حوادث سيئة كثيرة بسبب فقدان كثير من الرجال والنساء لهذا الخلق الكريم، وإنما أفردت المرأة بالحديث ها هنا لأني أومن أنه يجب التخصيص حال الخطاب وعدم الخلط، ولأن خطاب المرأة -عندي- أهم من خطاب الرجال في هذه المدة، على وجه الخصوص، لأنها هي القائمة -عادة- على التربية، ولأن السهام موجهة إليها أكثر، والعناية بها أوجب.

وفي هذا الكتاب سبعة مباحث هي:

ـــ معنى الحياء والأقوال المأثورة في شأنه.

ـــ أقوال أهل الشرع والأدب والشعر في الحياء.

ـــ اعتداد الشرع بحياء المرأة وأثر ذلك في الحكم.

ـــ أهمية الحياة للمرأة.

ـ صور على ضعف الحياء لدى بعض النساء أو فقدانه، وهو أهم مباحث الكتاب، وفيه صور عجيبة من أزمنة قديمة وحديثة.

ـ علاج قضية قلة حياء البنات.

ـ ضوابط في مسألة حياء المرأة.

وأرجو أن يكون الكتاب بهذه المباحث قد استوعب كثيراً من جوانب هذه القضية المهمة وأتى عليها على نحو يساعد على علاج ظاهرة تفشت في المجتمع وصار لزاماً معالجتها وتخفيف آثارها.

والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

محمد بن موسى الشريف

البريد الالكتروني mmalshareef@altareekh.com

الموقع على الشبكة www.altareekh.com

المبحث الأول: معنى الحياء والأقوال المأثورة في شأنه وبعض أحوال أهل الحياء

قد كثر الحديث عن الحياء في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام السلف الأول وسائر العرب كثرة لافتة للنظر؛ إذ الشيء إذا كثر الحديث عنه فإن ذلك دلالة على أهميته، وقبل أن أسوق جملة من تلك الأقوال أُعرِّج على معنى الحياء.

معنى الحياء لغة:

تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يُعاب به.

وقيل في تعريف الحياء:

هو انقباض النفس عن شيء حذراً من الملام.[1]

---

(١) "التوقيف على مهمات التعاريف": ١٥٠، نقلاً عن "الحياء في الفكر الإسلامي المعاصر": ١٦.

وهو أيضاً: الاحتشام.[1]

ومن الكلمات المرادفة للحياء: الخَفَر، وقيل هو شدة الحياء.

وامرأة خَفِرة، ورجل خَفِر.[2]

ومن الكلمات المرادفة له -أيضاً- : الخجل، وقيل إن الفرق بينه وبين الحياء أن الخجل إنما هو في الأمر الذي كان، والحياء من الأمر الذي سيكون، وقد يستعمل الحياء موضع الخجل توسعاً.

وقيل: الخجل هو الانقطاع في الكلام.[3]

ومن الكلمات المضادة للحياء:

ــ الوقاحة، والقَحَة، والقِحَة، وهي: قلة الحياء، والجراءة على القبائح، وعدم المبالاة بها.

---

(١) "المعجم الوسيط": ح ي ي.

(٢) "تاج العروس من جواهر القاموس": خ ف ر.

(٣) "الموسوعة الفقهية": ١٨/٢٦٠.

ومن الكلمات المضادة للحياء -أيضاً- :

ـــ الصفاقة، ووجه صفيق أي وَقِح[1].

معنى الحياء اصطلاحاً:

خلق حميد يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.[2]

وقال الراغب:

"الحياء انقباض النفس عن القبيح، وهو من خصائص الإنسان ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهي فلا يكون كالبهيمة، وهو مركب من جبن وعفة، فلذلك لا يكون المستحي فاسقاً، وقلما يكون الشجاع مُستحياً"[3].

---

(١) "تاج العروس" : ص ف ق.

(٢) "التوقيف على مهمات التعاريف": ١٥٠، نقلاً عن "الحياء في الفكر الإسلامي المعاصر": ١٦.

(٣) "فتح الباري": ١/١٣٧.

وأما ما كان عليه النبي ﷺ من اجتماع كمال الشجاعة مع كمال الحياء فهو من عناية الله تعالى به ومن كمال خلقه ﷺ.

وقيل إن الحياء هو: ألا يفتقدك الله حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك.

ـ والحياء هو الوسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح وعدم المبالاة بها، والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقاً[١].

وقال أبو حاتم البُستي رحمه الله تعالى:

الحياء اسم يشتمل على مجانبة المكروه من الخصال.

والحياء حياءان:

أحدهما: استحياء العبد من الله جلا وعلا عند الاهتمام بمباشرة ما حُظِرَ عليه.

---

(١)"الكليات": ٤٠٤.

والثاني: استحياء من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول والفعل معاً.

والحياءان جميعاً محمودان.[1]

و"الحياء من خصائص الإنسان وغريزة فيه، وإن كان استعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية، فإنه يردع عن ارتكاب كل ما يشتهيه فلا يكون كالبهيمة".[2]

"والحياء بمعناه الشرعي مطلوب، وقد حث عليه النبي ﷺ ورغّب فيه؛ لأنه باعث على أفعال الخير، ومانع من المعاصي، ويحول بين المرء والقبائح، ويمنعه مما يعاب به ويُذم، فإذا كان هذا أثره فلاشك أنه خلق محمود لا ينتج إلا خيراً؛ فالذي يَهُمّ بفعل فاحشة فيمنعه حياؤه من اجتراحها[3]، أو يعتدي عليه سفيه فيمنعه حياؤه من مقابلة السيئة

---

(١) "روضة العقلاء": ٨٩.

(٢) "الموسوعة الفقهية": ١٨/٢٦٠.

(٣) أي اقترافها وإتيانها.

بالسيئة، أو يسأله سائل فيمنعه حياؤه من حرمانه، أو يضمه مجلس فيمسك الحياء بلسانه عن الكلام والخوض فيما لا يعنيه، فالذي يكون للحياء في نفسه هذه الآثار الحسنة فهو ذو خلق محمود...

قال العلماء:

"الحياء من الحياة، وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح"[1].

أقسام الحياء:

والحياء قسمان: قسم وهبي فطري، وقسم كسبي.

أما الوهبي الفطري فيختلف فيه الناس، فمن الناس من يكون منذ صغره عظيم الحياء، ومنهم من يكون منذ صغره وقحاً قليل الحياء، وهذا الحياء الوهبي الفطري لا حيلة فيه ولابد للإنسان فيه.

(١)"الموسوعة الفقهية": ١٨/٢٦١-٢٦٢.

أما الحياء الكسبي فهو ما يستفيده الإنسان من الحياء ويكتسبه بسبب تدريب النفس ومجاهدتها وتعويدها وترويضها، وهذا هو الذي في مُكنة الإنسان وقدرته.

وبعض الناس يكون قليل الحياء فإذا جاهد نفسها وراضها وعودها استفاد قدراً كبيراً من الحياء وربما صار معدوداً بسبب هذا من أهل الحياء.

الآيات الواردة في الحياء

ورد في كتاب الله تعالى في مواضعَ منه ذِكْرُ الحياء صريحاً أو إشارةً، فمن المواضع التي فيها إشارة إلى الحياء ما جاء من تفسير بعض السلف قول الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[1]، فقال:

"لباس التقوى" الذي ذكر الله في القرآن هو الحياء.[2]

ـــ أما المواضع التي ذكر فيها الحياء صراحة فمنها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[3].

(١)سورة الأعراف: آية ٢٦.

(٢)تفسير الطبري: ١٢/٣٦٦-٣٦٧، وقد أسند الطبري ذلك عن معبد الجهني.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٦.

ومن المواضع أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ وذلك في ثنايا قصة موسى وشعيب عليهما الصلاة والسلام، قال تعالى:

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[1]

---

(١) سورة القصص: آية ٢٥-٢٧.

وقد بين المفسرون معنى هذه الكلمة: "استحياء"، وتحدثوا عنها حديثاً جيداً؛ فمن ذلك:

١. "المعنى أنها مستحية في مشيتها، أي تمشي غير متبخترة ولا متثنية ولا مظهرة زينة ...

والاستحياء مبالغة في الحياء"[١]

٢. "في سبب استحيائها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان من صفتها الحياء، فهي تمشي مَشيَ من لم يَعْتد الخروج والدخول.

والثاني: لأنها دعته لتكافئه، وكان الأجمل عندها أن تدعوه من غير مكافأة.

والثالث: لأنها رسول أبيها"[٢]

---

(١) "التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور: ١٠٣/٢٠.

(٢) "زاد المسير" لابن الجوزي: ٢١٤/٦.

٣. "على استحياء، ما هو عادة الأبكار ... لتمام إيمانها، وشرف عنصرها، وكريم نسبها أتته على استحياء"[١].

٤. "قيل إنما استحيت لأنها كانت تخاطب مَن لم يكن محرماً.[٢]

٥. "ولما كان الحياء كأنه مَرْكب لها وهي متمكنة منه، مالكة لزمامه، عبر بأداة الاستعلاء فقال: "على استحياء" أي حياء موجود منها؛ لأنها كُلفت الإتيان إلى رجل أجنبي تكلمه وتماشيه"[٣].

٦. "قيل: ماشية على بعدٍ، مائلة عن الرجال"[٤].

٧. "على استحياء في غير ما تبذل، ولا تبرج، ولا تبجح، ولا إغواء، جاءته لتُنهي إليه دعوة في أقصر لفظ وأخصره وأدلّه

(١) "روح البيان" للبورصوي: ٦/٣٩٦.
(٢) "لطائف الإشارات" للقشيري: ٣/٦٠.
(٣) "نظم الدرر": البقاعي: ١٤/٢٦٨.
(٤) "مفاتيح الغيب": ٢٥/٢٤٠.

... فمع الحياء الإبانة والدقة والوضوح لا التلجلج والتعثر والربكة، وذلك كذلك من إيحاء الفطرة النظيفة السليمة المستقيمة، فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم"[1].

ويستفاد من حال المرأتين هاهنا أن المرأة المسلمة الحَيِيّة إذا خرجت من بيتها فإنها تخرج غير مزاحمة للرجال، معتدلةً في مشيتها بدون تَثَن ولا تكسّر، فإذا احتاجت أن تخاطب الرجال فإنها تخاطبهم بقدر الحاجة وبلا خضوع ولا تغنج، وبصوت خفيض، وتراقب الله تعالى في لباسها وحركاتها وكلامها.

ـــ وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال في قول الله تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ قال:

(١) "في ظلال القرآن" لسيد قطب: ٥/٢٦٨٧.

ليست بسَلْفَع من النساء خَرّاجة ولاجة ولكن جاءت مستترة، وقد وضعت كُم درعها على وجهها استحياء.

وفي رواية عنه ﷺ:

جاءت تمشي على استحياء، قائلة بثوبها على وجهها، ليست بسَلْفع من النساء ولاّجة خَرّاجة"[1]

والسَلْفع: الجريئة السليطة، والولاّجة الخراجة: هي كثيرة الدخول والخروج.[2]

الحياء من أخلاق الله تعالى ويحبه سبحانه:

فقد قال النبي ﷺ: "إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صِفراً خائبتين"[3].

---

(١) "رواها ابن أبي حاتم بسند صحيح، والحاكم وصححها ووافقه الذهبي، ونقلت هذا عن كتاب: "الصارم المشهور على أهل التبرج والسفور" للشيخ حمود التويجري: ١٠١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي، وصححه الألباني.

ـــ وقال ﷺ:

"إن الله -عز وجلّ- حليـــم، حَيِيٌّ، سِتِّـــير، يحب الحياء والسِتْر ..."[1]

ـــ وقال ﷺ لأشَجّ بن عبدالقيس ﷺ:

"إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحياء والأناة"[2].

ـــ وعن أبي واقد الليثي ﷺ أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل نفر ثلاثة، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فُرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال:

(١) سنن النسائي: كتاب الغسل: الباب السابع، والحديث الصحيح.

(٢) أخرجه الإمام مسلم والترمذي وابن ماجه والبيهقي في "شعب الإيمان": ١٣/٤١٢.

ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيى فاستحيى الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه"(١).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:

"وأما حياء الرب -تعالى- من عبده فذاك نوع آخر؛ لا تدركه الأفهام، ولا تُكيِّفه العقول، فإنه حياء كرم وبِر وجود وجلال ..."(٢)

وقال -أيضاً- رحمه الله تعالى:

"من وافق الله في صفة من صفاته قادته تلك الصفة إليه بزمامها وأدخلته على ربه، وأَدْنته وقربته من رحمته، وصَيّرته محبوباً له؛ فإنه سبحانه رحيم يحب الرحماء، كريم يحب الكرماء، عليم يحب

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب السلام: باب من أتى مجلساً فوجه فيه فرجه.

(٢) "صلاح الأمة في علو الهمة": ٥٣٢/٥.

العلماء، قوي يحب المؤمن القوي ... حَيِيٌّ يحب أهل الحياء، جميل يحب أهل الجمال، وتر يحب أهل الوتر"[1].

وقال المناوي:

"قال التوربشتي: وإنما كان الله يحب الحياء والستر لأنهما خصلتان يفضيان به -أي بالعبد- إلى التخلق بأخلاق الله"[2].

ـــ والملائكة تستحي:

وقد أثبت النبي ﷺ للملائكة الحياء. حيث أخبر أنها تستحي من عثمان ﷺ فقال:

"ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة"[3].

---

(١) المصدر السابق: ٥/٥٣٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صيحه: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ: باب في فضائل عثمان ﷺ.

الأحاديث النبوية الواردة في الحياء

لقد جاء في السنة المشرفة كثير من الأحاديث التي تناولت الحياء بالحض عليه وبيان فضله، فمن ذلك:

ـــ قال ﷺ:

"إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ماشئت"[1].

ومعنى الأمر في الحديث: "فاصنع ماشئت" هو:

١. للتهديد والوعيد، فيكون المعنى: إذا لم يكن عندك حياء فاعمل ماشئت، فإنك معاقب مجازى على صنيعك، وقد يكون في الدنيا أو الآخرة أو في كليهما.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء.

٢. الأمر للإباحة، فيكون المعنى: أي إذا أردت فعل شيء فإن كان مما لا تستحي إذا فعلته من الله ولا من الناس فافعله وإلا فلا.

٣. الأمر يراد به الخبر: أي إذا لم يستح الإنسان صنع ما شاء[١].

ـــ وعندي أن أقرب المعاني للحديث هو المعنى الأول، والله أعلم.

ـــ وقال ﷺ:

"الحياء والإيمان قُرنا جميعاً فإذا رفع أحدهما رُفع الآخر"[٢].

ـــ وقال ﷺ:

"الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار"[٣].

(١) ملخص بتصرف من مقالة للدكتور حمدي شلبي في مجلة المجتمع، ونقل الدكتور عن فتح الباري وغيره.

(٢) أخرجه الحاكم وقال هو على شرط الشيخين، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، وقال حسن صحيح، وهو صحيح كما قال رحمه الله تعالى.

البذاء: السفاهة والفحش في المنطق، وإن كان الكلام صدقاً[1].

وقال أبو حاتم البُستي رحمه الله تعالى شارحاً للحديث:

"إذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة، كما أن الواقع إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوماً، وتواتر الشر منه موجوداً؛ لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها، فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إياها، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها"[2].

ـ وقال النبي ﷺ:

"الحياء لا يأتي إلا بخير"[3].

ـ وقال ﷺ:

---

(١) الموسوعة الفقهية: ١٨/٢٦٠.

(٢) "روضة العقلاء": ٩٠.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الأدب.

"الحياء شعبة من الإيمان"[1].

ـــ وقال ﷺ:

"الحياء من الإيمان"[2].

قال ابن قتيبة مفسراً سببَ كون الحياء من الإيمان:

"إن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الإيمان من ارتكابها، فسمي إيماناً كما يسمى الشيء باسم ما قام مقامه"[3].

وقال ابن الأثير رحمه الله:

"جعل الحياء وهو غريزة من الإيمان وهو اكتساب لأن المستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي ... فصار كالإيمان الذي يقطع بين العاصي والمعصية، وإنما جعله -أي الحياء- بعض الإيمان لأن الإيمان

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب عدد شعب الإيمان.
(٢) أجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان: باب الحياء من الإيمان.
(٣) "النهاية في غريب الحديث والأثر": ١/٤٧٠.

ينقسم إلى ائتمار بما أمر الله به، وانتهاء عما نهى الله عنه، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعضَ الإيمان"(١).

ـ وقال ﷺ:

"استحيوا من الله حق الحياء.

قالوا: والله إنا لنستحي يا رسول الله، والحمدلله.

قال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبِلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعلَ ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء"(٢).

ـ وقال ﷺ:

---

(١) "النهاية في غريب الحديث والأثر": ١/٤٧٠.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي وغيره، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

"إن لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء"[١].

وهذا الحديث عظيم الدلالة على أهمية الحياء وجلال آثاره في الحياة؛ إذ جعل النبي ﷺ الحياء هو خلق الإسلام الأعظم والأول، على كثرة الأخلاق العظيمة في الإسلام وتنوعها.

ـ وقال ﷺ:

"ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه"[٢].

فالحياء -إذن- زينة للناس وحِلْية لهم، وهو للمرأة أعظم زينة، بل هو سِرّ أنوثتها وجمالها[٣].

---

(١) سنن ابن ماجه، وحكم الألباني على الحديث بالحسن في صحيح سنن ابن ماجه: ٢/٤٠٦، وقد نقلت هذا التخريج من كتاب "هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً": ٣٢٢، وقد نقلت نقله لتخريج الألباني في مواضع أخرى واكتفيت بالنص على هذا هاهنا.

(٢) أخرجه ابن ماجه والترمذي، والحديث صحيح.

(٣) هذا وقد أشار علي الشيخ أحمد الحمدان وزوجه الفاضلة د. فاطمة الجلسي بالتوسع في موضوع الأنوثة وعلاقتها بالحياء، فذكرت ذلك هاهنا، وذكرته في النقطة الرابعة من المبحث=

ـــ وقال ﷺ:

"أوصيك أن تستحي من الله -عز وجل- كما تستحي رجلاً من صالحي قومك"[1].

الحياء خلق الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم:

قد كان الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- أصحاب حياء وستر، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر عن نبي الله موسى عليه أنه "كان رجلاً حَيِياً سِتِّيراً لا يُرى من جلده شيء استحياء منه"[2].

فهذا نبي من أولي العزم -صلوات ربي وسلامه عليهم- لا يُرى من جلده شيء استحياءً، فأولى بالمرأة المسلمة ألا يرى الأجانب منها شيئاً.

ـرابع ذكراً موجزاً. وقد استفدت من ملاحظات الشيخ وزوجه حفظهما الله تعالى في مواطن عديدة من الرسالة، وأشارا عليّ بجملة أمور أخذت بكثير منها فجزاهما الله تعالى خيراً.

(١) قال د. محمد عبدالحميد في كتابه "الحياء في الفكر الإسلامي المعاصر": رواه البيهقي في الشعب ٢/٤٦٢ .. وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة: ٢/٣٧٦ حديث رقم ٧٤١ وعزاه للخرائطي في "مكارم الأخلاق": ٢٠٤.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء: الباب ٢٨.

ـــ وإذا اجتمع الناس في الموقف يوم القيامة فزع الناس إلى أولي العزم من الرسل وغيرهم ليشفعوا لهم في بدء القضاء فيرفضون لحيائهم مما يرون أنها ذنوب صنعوها(١)، وحاشاهم صلوات ربي وسلامه عليهم، فهم منـــزهون من اقتراف الذنوب لكن للموقف عظمة وجلال.

ـــ وكان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خِدْرها"(٢).

وهذا يوم كانت العَذارى يستحين أشد الاستحياء، فأين منهن عذارى اليوم؟!

ـــ وقد قال النبي ﷺ لموسى عليه الصلاة والسلام في ليلة الإسراء لما سأله موسى أن يعود إلى ربه ليسأله التخفيف: "استحييت من ربي"(٣).

وعن جابر بن سمرة أو رجل من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم قال:

---

(١) انظر صحيح الإمام البخاري: كتاب التفسير، السورة الثانية: الباب الأول.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل: باب كثرة حيائه ﷺ، وأخرجه البخاري رحمه الله في كتاب الأدب.

والخِدْر هو: ستر رقيق يكون في ناحية من البيت، تكون خلفه العذراء، وبمعنى آخر أنه مكان في جانب مستور من البيت.

(٣) انظر صحيح البخاري: كتاب الصلاة.

"كان النبي ﷺ يرعى غنماً فاستعلى الغنم فكان في الإبل هو وشريك له فأكريا أخت خديجة، فلما قضوا السفر بقي لهم عليها شيء فجعل شريكه يأتيها فيتقاضاهم، ويقول لمحمد انطلق، فيقول اذهب أنت فإني أستحي.

فقالت مرة -وأتاهم- : فأين محمد؟

قال: قد قلت له فزعم أنه يستحي.

فقالت: ما رأيت رجلاً أشد حياءً ولا أعفّ ولا ولا، فوقع في نفس أختها خديجة فبعثت إليه ..."[1].

ـــ وقال تعالى:

﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ ﴾[2]

---

(١) قال الإمام الهيثمي في "مجمع الزوائد": ٩/٢٢٤ رواه الطبراني والبزار ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي خالد الوالبي، وهو ثقة.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٥٣.

الحياء عند نساء الصدر الأول:

قد كانت نساء السلف على غاية جليلة من الحياء ليس بعدها غاية، فمن ذلك:

١- عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم قالت:

"تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح[١] وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأَخْرِز غَرْبه[٢] وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكنّ نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي مني علي ثلثي فرسخ[٣] فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار

(١) الناضح: الإبل التي يُستقى عليها.

(٢) الغَرب: الدلو الكبيرة: "التوضيح لشرح الجامع الصحيح": ١١٤/٢٥.

(٣) الفرسخ ثلاثة أميال.

فدعاني ثم قال: إخ إخ[1] ليحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته -وكان أغير الناس- فعرف رسول الله ﷺ أني استحييت فمضى"[2].

فهذه أسماء رضي الله عنها استحت أن تكون بين أولئك الرجال الأطهار وعلى رأسهم رسول الله ﷺ فكيف بنساء اليوم وأكثرهن قد زاحمن الرجال بالمناكب في الطرقات والأسواق.

٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة تبايع النبي ﷺ فأخذ عليها "ألا يشركن بالله شيئاً ولا يزنين" الآية قالت: فوضعت يدها على رأسها حياءً، فأعجب رسولَ الله ﷺ ما رأى منها.

فقالت عائشة: أَقِرِّي أيتها المرأة، فوالله ما بايَعْنا إلا على هذا.

---

(١) كلمة تقولها العرب لإناخة الدواب حتى يسهل الركوب عليها.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الرضاع: باب الغيرة.

قالت: فنعم إذن.

فبايعها بالآية"[1].

وهذه أم سُلَيم -رضي الله عنها- جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت له -وعائشة عنده-: يا رسول الله: المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام، فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا أم سليم: فضحتِ النساء تَرِبت يمينك.

فقال ﷺ لعائشة: بل أنت فتربت يمينك، نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ذلك"[2].

فهذه عائشة رضي الله عنها قد استحت من سؤال أم سليم رضي الله عنها.

وقالت عائشة رضي الله عنها للنساء:

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤٢/٩٥، وحكم المحقق على إسناده بالصحة.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الحيض: باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها.

مُرْنَ أزواجكن أن يستطيبوا بالماء فإني أستحيهم، فإن رسول الله ﷺ كان يفعله"(١).

الحياء بعد الموت !!:

وهذه عجيبة من سيدة نساء العالمين فاطمة -رضي الله تعالى عنها- إذ استحت أن يراها الناس وهي موضوعة على خشبتها وليس عليها إلا ثوب فيصف بعض أعضاءها، فقالت لأسماء بنت عُميس رضي الله عنها:

يا أسماء: إني قد استقبحت ما يُصنع بالنساء أنه يُطرح على المرأة الثوب فيصفها.

فقالت أسماء: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله تعالى في سننه. أبواب الطهارة: باب الاستنجاء بالماء، وصححه الألباني رحمه الله، وقال الترمذي: وعليه العمل عند أهل العلم: يختارون الاستنجاء بالماء وإن كان الاستنجاء بالحجارة يجزئ عندهم، فإنهم استحبوا الاستنجاء بالماء ورأوه أفضل.

فقالت فاطمة رضي الله عنها: ما أحسنَ هذا وأجمله يُعرف به الرجل من المرأة، فإذا أنا مت فاغسليني أنت وعلي ولا تدخلي عليّ أحداً ..." (١).

وهذا من أعجب ما سُمع أن امرأة تستحي من هيئتها بعد موتها؛ فرضي الله عنها وأرضاها.

وهذه عائشة رضي الله عنها تستحي من ميت!! فقد قالت:

"كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله ﷺ وأبي فأضع ثوبي فأقول إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهم فو الله ما دخلتُ إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر!!"(٢).

---

(١) سنن البيهقي: ٤/٣٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤٢/٤٤١، وقال المحقق: أثر إسناده صحيح على شرط الشيخين.

فكيف لو رأت فاطمة وعائشة وأسماء -رضي الله عنهن- نساء زماننا وفتياته وأكثرهن لا يستحيين من حي ولا ميت، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولو قرأت النساء هذه الأحاديث والآثار قراءة فاحصة ورُبين على مضامينها لاستفدن وانغرس في نفوسهن الحياء، ومكان هذه التربية في المحاضن التربوية مثل حلقات تحفيظ القرآن، والمراكز الصيفية، وفي المحاضرات العامة، والملتقيات الثقافية، والجلسات التربوية، وفي مدارس البنات ومجامعهن.

هذا وإن شأن الحياء عظيم، وتضافر الجهود للمحافظة عليه في الفتيات والنساء من أهم المهمات، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

الحياء عند الصالحين:

قد كان بعض الصالحين معروفاً بالحياء فمنهم:

١- أبوبكر الصديق ﷺ، فقد قال وهو يخطب الناس:

"يا معشر المسلمين: استحيوا من الله، فوالذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنعاً بثوبي استحياء من ربي عزوجل"[1].

٢- عثمان ﷺ: كان كثير الحياء حتى أن الملائكة كانت تستحي منه!! فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

"كان رسول ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبوبكر ﷺ فأذن له وهو على تلك الحالْ فتحدث، ثم استأذن عمر ﷺ فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان ﷺ فجلس رسول الله ﷺ وسَوّى ثيابه فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبوبكر فلم تهتشّ له ولم تُباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تُباله، ثم دخل عثمان فجلستَ وسَوّيتَ ثيابك.

(١) شعب الإيمان" للبيهقي: ١٣/٤١٦. وقد حكم المحقق على إسناد الأثر بالحسن.

فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة"[١].

وقال ﷺ:

"الحياء من الإيمان، وأحيى أمتي عثمان"[٢].

٣- وقال عمرو بن العاص ﷺ:

والله إن كنت لأشد الناس حياء من رسول الله ﷺ فما ملأت عيني من رسول الله ﷺ ولا راجعته بما أريد حتى لحق بالله عزوجلّ حياء منه.[٣]

٤- لما احتضر الأسود بن يزيد -رحمه الله تعالى- بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟

---

(١) سبق تخريجه وأنه في صحيح مسلم.

(٢) رواه ابن عساكر، وصححه الألباني: انظر "صلاح الأمة": ٥/٥٥٥.

(٣) المصدر السابق.

قال: مالي لا أجزع، ومن أحق بذلك مني؟ والله لو أُتيت بالمغفرة من الله عز وجل لأهمّني الحياء منه مما قد صنعت؛ إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه، ولا يزال مستحياً منه"[١].

٥- وقال الحسن البصري -رحمه الله تعالى- :

لو لم نَبْكِ إلا للحياء من ذلك المقام لكان ينبغي لنا أن نبكي فنطيل البكاء"[٢].

ومقصوده المقام بين يدي الله تعالى.

ـ ودخل أبو حامد الخلقاني على الإمام أحمد -رحمهما الله تعالى- فأنشده:

إذا ما قال لي ربي — أما استحييت تعصيني

وتخفي الذنب من خلقي — وبالعصيان تأتيني

فما قولي له لمّا — يعاتبني ويقصيني

(١) "صلاح الأمة": ٥/٥٣٥.

(٢) المصدر السابق: ٥/٥٣٦.

فطلب منه الإمام أن يعيدها فأعادها عليه، فدخل أحمد داره، وجعل يرددها ويبكي[1].

٦- قال الإمام ابن مهدي رحمه الله تعالى:

"ما كنت أقدر أن أنظر إلى سفيان استحياء وهيبة منه"[2].

٧- وهذا أبو عقبة الجراح بن عبدالله الحكمي البطل الشجاع، قال:

"تركت الذنوب حياءً أربعين سنة ثم أدركني الورع"[3].

٨- ودعا قوم رجلاً كان يألف عشرتهم وصحبتهم فلم يُجبهم، وقال:

"إني دخلت البارحة في الأربعين، وأنا أستحي من سني"[4].

وهذا في الخلطة المباحة فكيف بالخلطة المحرمة ؟!

---

(١) "صلاح الأمة": ٥/٥٣٦.

(٢) المصدر السابق: ٥/٥٣٧.

(٣) المصدر السابق: ٥/٥٥٨.

(٤) "منهاج اليقين شرح كتاب أدب الدنيا والدين": ٤١٧.

ـ وقد رأى الناس نساء بلغن الأربعين بل جاوزها وليس لهن من الحياء ما يردعهن عن القبائح.

٩- وكان الشيخ محمد بن أحمد، أبو الحسن الغمري المصري الشافعي شديد الحياء، وكان لا ينام بحضرة أحد أبداً ويقول: أخاف أن يخرج مني ريح وأنا نائم[1]، فانظروا رحمكم الله إلى قدر حيائه.

---

(١) "المختار المصون": ٢/٧٥٨.

المبحث الثاني: أقوال لأهل الشرع والأدب والشعر في الحياء

هناك أقوال للعلماء والمشايخ والأدباء في الحياء مبثوثة في كتب الأدب وغيرها، وهناك أبيات للشعراء في أدب الحياء هذا، فمن ذلك:

قال الشعبي رحمه الله تعالى:

"تعايش الناس زماناً بالدين والتقوى، ثم رُفع ذلك فتعايشوا بالحياء والتذمم، ثم رفع ذلك فما يتعايش الناس إلا بالرغبة والرهبة، وأظنه سيجيء ما هو أشد من هذا"(١).

وأقول: قد جاء ما هو أشد وأنكى، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال بعض الصالحين:

---

(١) "عيون الأخبار": ٣/٢٧٩.

والتذمم: الاستنكاف والاستحياء، وانظر "المعجم الوسيط": ذ م م.

إن العباد عملوا على أربع منازل: على الخوف، والرجاء، والتعظيم، والحياء، فأرفعها منـــزلة الحياء؛ لَّما أيقنوا أن الله يراهم على كل حال قالوا: سواء علينا رأيناه أو رآنا، وكان الحاجز لهم عن معاصيه الحياء منه[1].

وقال أبو حاتم البُسْتي، رحمه الله تعالى:

"الواجب على العاقل لزوم الحياء؛ لأنه أصل العقل وبذر الخير، وتركه أصل الجهل وبذر الشر، والحياء يدل على العقل كما أن عدمه دال على الجهل، ومَن لم ينصف الناسَ منه حياؤه لم ينصفه منهم قَحَتُه"[2].

وقال أيضاً، رحمه الله تعالى:

(١) "المستطرف": ١/٢٨٢.

(٢) "روضة العقلاء": ٨٨-٨٩.

"الواجب على العاقل أن يُعَوِّدَ نفسه لزوم الحياء من الناس، وإن من أعظمِ بركته تعويد النفس ركوبَ الخصال المحمودة ومجانبتَها الخلالَ المذمومة، كما أن من أعظم بركة الحياء من الله الفوز من النار بلزوم الحياء عند مجانبة ما نهى الله عنه؛ لأن ابن آدم مطبوع على الكرم واللؤم معاً في المعاملة بينه وبين الله والعِشرة بينه وبين المخلوقين، وإذا قوي حياؤه قوي كرمه وضعف لؤمه، وإذا ضعف حياؤه قوي لؤمه وضعف كرمه"[1].

وقال أيضاً، رحمه الله تعالى:

"إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه، ودفن مساويَه، ونشر محاسنه، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره، ومن ذهب سروره هان على الناس ومُقت، ومن مُقِت أوذي ... ولا دواء لمن لا حياء له، ولا حياء

(١) المصدر السابق: ٩١.

لمن لا وفاء له، ولا وفاء لمن لا إخاء له، ومن قَل حياؤه صنع ما شاء وقال ما أحب"[١].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:

"الحياء هو من أعظم الأخلاق وأكرمها، ذلك لأنه مصدر الفضائل، فالولد يبر بوالديه بسبب الحياء، وصاحب الدار يكرم ضيفه بسبب الحياء ..."[٢].

وقال ابن القيم أيضاً معلقاً على كلام يحيى بن معاذ: "سبحان من يذنب عبده ويستحي هو"، و"من استحيى من الله مطيعاً استحيى الله منه وهو مذنب" فقال:

"مَن غلب عليه خلق الحياء من الله حتى في حال طاعته فقلبه مطرق بين يدي ربه إطراق مُستح خجل، فإذا واقع ذنباً استحيى الله

(١) المصدر السابق.

(٢) "مفتاح دار السعادة".

-عز وجل- من أن ينظر إليه في تلك الحالة لكرامته عليه، فيستحي أن يرى من وليه ومن يَكرم عليه ما يشينه عنده، وفي واقع الحياة ما يشهد لذلك؛ فإن الرجل إذا اطّلع على أخص الناس به وأحبهم إليه وأقربهم منه من ولد أو صاحب، أو ممن يحب من غيرهم وهو يخونه فإنه يلحقه من ذلك الاطلاع حياء عجيب حتى كأنه هو الجاني، وذلك غاية الكرم"[1].

وقال بعض الحكماء:

"أَحْيوا الحياء بمجالسة من يُستحيا منه"[2].

وقال آخر:

"القناعة دليل الأمانة، والأمانة دليل الشكر، والشكر دليل الزيادة، والزيادة دليل بقاء النعمة، والحياء دليل على الخير كله"[3].

---

(١) "مدارج السالكين": ٢/٢٦٠.

(٢) "عيون الأخبار": ٣/٢٧٨.

(٣) "التذكرة الحمدونية": ٢/٢٢٧.

وقال الأحنف بن قيس، رحمه الله تعالى:

"أربع من كن فيه كان كاملاً، ومن تعلق بواحدة كان من صالحي أهله: دين يرشده، أو عقل يسدده، أو حسب يصونه، أو حياء يفثأه"[1].

ومعنى يفثأه: أي يكسر من حدته، والفَثْء: الكسر[2].

وقال أعرابي:

"من كساه الحياءُ ثوبه، خفي على الناس عَيْبه"[3].

وقيل هو لعلي ﷺ، ولفظه:

"من كسا بالحياء ثوبَه لم ير الناس عيبَه"[4].

---

(١) "التذكرة الحمدونية": ٢/٢٢٨.

(٢) "النهاية في غريب الحديث والأثر" ٣/٤١٢.

(٣) "التذكرة الحمدونية": ٢/٢٢٨.

(٤) "المستطرف": ١/٢٨٢.

وقال آخر:

"الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون في الوعاء"(١).

وقال أحد الحكماء:

كفى بالحياء على الخير دليلاً، وعن السلامة مخبراً، ومن الذم مُجيراً"(٢).

وقال آخر:

الحياء تمام الكرم، وموطن الرضا، ومُمَهِّد الثناء، وموفِّر العقل، ومُعَظِّم القَدْر، وداعٍ إلى الرغبة.(٣)

وقال وهب بن مُنَبِّه رحمه الله تعالى:

---

(١) "المستطرف": ١/٢٨٢.

(٢) "صلاح الأمة في علو الهمة": ٥/٥٦٣.

(٣) المصدر السابق: ٥/٥٦٤.

الإيمان عُريان ولباسه التقوى، وزينته الحياء.[1]

وقال الحسن البصري:

الحياء والتكرّم خصلتان من خصال الخير، لم يكونا في عبد إلا رفعه الله بهما.[2]

وقال الفُضَيل:

خمس من علامات الشقاء: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل.[3]

ـــ وقال الماورديّ رحمه الله تعالى:

رأيت رسول الله ﷺ في المنام ذات ليلة، فقلت: يارسول الله: أوصني.

(١) "صلاح الأمة في علو الهمة": ٥/٥٦٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ٥/٥٦٢.

فقال: استحي من الله -عزوجل- حق الحياء.

ثم قال: تغيّر الناس.

قلت: وكيف ذلك يارسول الله؟

قال: كنت أنظر إلى الصبي فأرى من وجهه البشر والحياء، وأنا أنظر إليه اليوم فلا أرى ذلك في وجهه.

ثم تكلم بعد ذلك بوصايا وعظات تصورها، وأذهلني السرور عن حفظها، ووددت أني لو حفظتها، فلم يبدأ بشيء ﷺ قبل الوصية بالحياء من الله -عزوجل- وجَعَل ما سُلِبَه الصبي من البشر والحياء سبباً لتغير الناس"(١).

(١) "منهاج اليقين شرح كتاب أدب الدنيا والدين": ٤١٦.

الحياء في شعر العرب

ورد في كتب الأدب ودواوين الشعر جملة وافرة من الشعر عن الحياء، وعن حياء المرأة خاصة، فمن ذلك:

قال الشاعر[1]:

إذا لم تخـــش عاقبـــة الليـــالي ... ولم تستح فاصـــنع مـــا تشـــاء

فلا والله مـــا في العـــيش خـــير ... ولا الـــدنيا إذا ذهـــب الحيـــاء

يعيش المرء ما اســـتحيا بخـــير ... ويبقى العود ما بقـــي اللحـــاء

وقال الشاعر:

وإني لأرى من لا حيـــاء لـــه ... ولا أمانة وسط القـــوم عريانـــاً

(١) هو رجل من خزاعة كما في "روضة العقلاء":٩٠٠.

وقال الشاعر:

ورب قبيحة مـا حـال بـيني ... وبـين ركوبهـا إلا الحيـاء

فكان هو الـدواء لهـا ولكـن ... إذا ذهـب الحيـاء فـلا دواء

وقال الشاعر[1]:

إذا قَلّ ماء الوجه قَـلّ حيـاؤه ... فلا خير في وجه إذا قَـلّ مـاؤه

حياءك فاحفظه عليـك وإنمـا ... يدل على فعل الكـريم حيـاؤه

وقال الشاعر[2]:

إذا رزق الفتى وجهـاً وقاحـاً ... تقلب في الأمور كمـا يشـاءُ

ولم يـك للـدواء ولا لشـيء ... يعالجـه بـه فيـه غَنـاءُ

---

(١) هو محمد بن عبدالله البغدادي، كما في المصدر السابق: ٨٩.

(٢) هو علي بن محمد البسامي، كما في المصدر السابق: ٩١.

فمالـــك في معاتبـــة الـــذي لا حيـــاء لوجهـــه إلا العنـــاءُ

وقال الشاعر:

فتاة اليـــوم ضـــيعت الصـــوابا وألقت عـــن مفاتنـــها الحجابـــا

فلم تبدي حيـــاءً مـــن رقيـــب ولم تخـــش مـــن الله الحســـابا

إذا سارت بدت ســـاق ورِدْف وإن جَلَسَتْ ترى العجب العُجابا

وقال الشاعر:

وليس بمنسوب إلى العلم والتقى فتىً لا تُرى فيه خلائق أربـــع[1]

فواحدةٌ تقوى الإله الـــتي بهـــا يُنال جسيم الخير والفضل أجمـــع

(١) أي صفات وطبائع.

(٢) "روضة العقلاء": ٨٩.

وثانيـــةٌ صـــدق الحيـــاء فإنـــه طباع عليه ذو المـــروءة يُطبـــع

وثالثةٌ حلم إذا الجهل أطلعـــت إليه خبايا من فجـــور تَسَـــرّعُ

ورابعـــة جـــود بملـــك يمينـــه إذا نابه الحق الذي ليس يـــدفع(٢)

وختاماً لهذا المبحث أقول:

وقد كان خلق الحياء ولا يزال وسيظل مذهباً لأهل المروءات، لا يمكن أن يفرطوا فيه أو يتهاونوا به، وهذا أبو سفيان ﷺ لما كان في جاهليته يتحدث عن حيائه أن يُنقل عنه الكذب، وذلك لما كان في مجلس قيصر ودعاه ليسأله فقال: "فوالله لولا الحياء من أن يَأْثِروا عليّ كذباً لكذبت عنه"(١).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب بدء الوحي.

المبحث الثالث: اعتداد الشرع بحياء المرأة، وأثر ذلك في الحكم

قد خلق الله تعالى المرأة وركّب فيها خلق الحياء على وجه صار فيه معدوداً من فطرها وجِبلّتها، فإذا طُمس على الفطرة بطوامسَ زال الحياء والعياذ بالله.

والحياء ألصق بالمرأة، وأقرب لحالها، وأنسب لخلقتها من الرجل، وإن كان الحياء مستحباً فيهما معاً، ولهذا اعتد الشرع بحياء المرأة في عقد نكاحها، وراعى هذه الخصلة الفطرية فيها، فقد جاء في الشرع أن المرأة البكر إذا سئلت عن رضاها بالنكاح فسكتت قُبل ذلك منها، وعُدّ موافقة، وذلك لأن حياءها يمنعها من الكلام، قال رسول الله ﷺ:

"استأمروا النساء في أبضاعهن؛ فإن البكر تستحي فتسكت، فهو إذنها"(١).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الإكراه: باب لا يجوز نكاح المكره.

وقال ﷺ:

"الأيِّم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستَأذن وإذنها صُماتها"[1].

وقال ﷺ:

"لا تُنكح الأيِّم حتى تُستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن".

فقالوا: يا رسول الله: فكيف إذنها؟

قال: أن تسكت[2].

وقال ابن قدامة رحمه الله تعالى:

"وأما البكر فإذنها صُماتها في قول عامة أهل العلم ... والأخبار في هذا كثيرة، ولأن الحياء عُقْلة على لسانها يمنعها النطق

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب النكاح: باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب النكاح: باب لا يُنكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاهما.

بالإذن، ولا تستحي من إبائها وامتناعها ... وإن بكت أو ضحكت فهو بمنـــزلة سكوتها ... والبكاء يدل على فَرْط الحياء ..."[1].

وقد علق ابن المُلَقِّن على حديث الواهبة نفسها لرسول الله ﷺ أمام جماعة من الصحابة ﷺ فقال:

"وفيه أن سكوت المرأة في الجماعات لازم لها إذا لم يقم الدليل على أن سكوتها كان لحياء أو لحشمة؛ لأنه كان للمرأة أن تقول: يارسول الله: أنا أرغب فيك ولا أرغب في غيرك.

وكذلك يجب أن يكون سكوت كل من عُقد عليه عقد في جماعة ولم يمنعه من الإنكار خوف ولا حياء ولا آفة في سمع ولا فهم أن ذلك العقد لازم له"[2].

ونص الحديث هو:

(١) "المغني" ٩/٤٠٨-٤٠٩.

(٢) "التوضيح لشرح الجامع الصحيح": ٢٤/٣٧١.

عن سهل أن امرأة عرضت نفسها على النبي ﷺ.

فقال له رجل: يارسول الله: زَوِّجْنيها.

فقال: ما عندك؟

قال: ما عندي شيء.

قال: اذهب فالتمس ولو خاتماً من حديد".[1]

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الرضاع: باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح.

المبحث الرابع: أهمية الحياء للمرأة

الحياء الذي تتحلى به المرأة ويخالطها في كلامها وفعالها وصفاتها إنما يعود عليها بفوائد كثيرة فمن ذلك:

١. حب الله تعالى لها:

وذلك أن الله تعالى حَيِيٌّ سِتِّير، والحياء من صفة الملائكة والأنبياء -كما سبق بيانه- فأَحْرى بمن تخلقت بهذا الخلق -ديانةً- أن يحبها الله تعالى، والله أعلم.

٢. الحياء حافظ لدين المرأة:

إن المرأة الحييّة تحافظ على دينها بحيائها، فحياؤها يمنعها من اقتراف الفواحش، ويحفظ عليها لسانها، ويغض من بصرها، ويكف من شرورها، ويُحَسِّن خلقها، وهذا كله مما جاء به الشرع المطهر

وطلبه طلباً جازماً من أتباعه، والأمر المعلوم المشاهد أن الحياء يساعد على تحقيق كل ذلك مساعدة كبيرة لا تنكر، فإن لم يكن للحياء فضيلة ومزية إلا هذا لكفته.

وبعض الناس يصده الحياء عن كثير من الأمور التي لا تجوز أو لا تليق؛ فهذا الشيخ علي بن عبدالله التركي المصري نـــزيل القرافة؛ كان أحد الصالحين، وتوفي سنة ٨٠٤، فكان يصف الناصر حاكم مصر بأنه كان صاحب هيبة، ثم قال عن الناس في زمان الناصر:

"أعرف الناس من أيام الناصر وما رأيت لهم عناية بأمر الدين، ولكن كان فيهم حياء وحشمة تصدهم عن أمور كثيرة".

وحكى هذا القولَ عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله ثم قال: فكيف لو أدرك زماننا هذا؟

ثم حكى هذا القول عن الحافظ ابن حجر تلميذه الحافظ السخاوي فقال: فكيف لو أدرك زماننا هذا؟[١]

(١) "المختار المصون": ١/٤٦٢.

وأقول أنا محمد بن موسى: فكيف لو أدرك زماننا هذا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٣. الحفاظ على الشرف والعفة:

إن المرأة ذات الحياء غالباً ما تكون محافظة على شرفها وعفتها؛ إذ أن حياءها يمنعها من التفريط في ذلك ولو لم تكن ذات دين متين؛ إذ أنها تستحي أن تنسب لنفسها العهر، ولأهلها الشين والفضيحة.

٤. الحياء سلم للأنوثة الحقة:

المرأة ذات الأنوثة هي امرأة موافقة في خلقتها للفطرة، والمرأة المسترجلة أو الخشنة بعيدة كل البعد عن الأنوثة الحقة، وليس شيء يضفي على المرأة جمالاً فوق جمالها مثل الحياء والخَفْرَ، فإذا كانت المرأة ذات حياء فإنها توصف أيضاً بالأنوثة، ولقد رأينا في هذا العصر من يشجع المرأة على السفور والتبرج وأن ذلك طريق للأنوثة الطاغية كما يقولون !!

يقول هنري مكوو[1]:

"على حائط مكتبي صورتان: الأولى: صورة امرأة مسلمة تلبس البرقع، وبجانبها صورة متسابقة جمال أمريكية لا تلبس شيئاً سوى البكيني، المرأة الأولى تغطت تماماً عن العامة والأخرى مكشوفة تماماً ...

إن الحرب في الشرق الأوسط إنما تهدف لتجريد العرب من دينهم وثقافتهم واستبدال البرقع بالبكيني ..."[2]

أدافع عن بعض من القيم التي يمثلها البرقع لي فهو رمز لتكريس المرأة نفسها لزوجها وعائلتها، هم فقط يرونها، وذلك تأكيد لخصوصيتها ...

على النقيض ملكة الجمال الأمريكية وهي ترتدي البكيني فهي تختال عارية تقريباً أمام الملايين على شاشات التلفزة، وهي ملك للعامة ...

---

(١) أستاذ جامعي ومؤلف وباحث متخصص في الشؤون النسوية والحركات التحررية.

(٢) يقصد استبدال البكيني بالبرقع، فإن القاعدة في اللغة العربية أن الباء تدخل على المتروك، قال تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.

ثم يذكر الكاتب أن المرأة الأمريكية لها علاقات برجال كثيرين قبل الزواج -هذا إن تزوجت- فتفقد المرأة عذريتها وتفقد براءتها التي هي جزء من جاذبيتها، وتصبح سلعة جسدية جامدة وماكرة، غير قادرة على الحب.

ثم يذكر المصنف أن المرأة في المجتمع الأمريكي تجد نفسها منقادة إلى السلوك الذكريّ مما يجعلها امرأة عدوانية مضطربة لا تصلح أن تكون زوجاً أو أماً، إنما هي فقط للاستمتاع البشري وليس للمشاعر الراقية مثل الحب أو التكاثر(١).

انتهى كلامه، والفضل ما شهدت به الأعداء.

٥. ضبط الشخصية:

إن حياء المرأة يضفي على شخصيتها توازناً مطلوباً للتعامل مع الناس على اختلاف قربهم وبعدهم عنها، ويبعدها عن مرضي الإفراط والتفريط، ويحفظ عليها الصفات الحسنة، وينفي عنها الصفات السيئة.

---

(١) "فسوق المرأة الأمريكية" كتاب في شبكة الإنترنت.

جاء في صحيح البخاري عن بُشير بن كعب قوله:

"مكتوب في الحكمة: إن من الحياء وقاراً، وإن من الحياء سكينة".

وقال القرطبي مفسراً هذا الكلام:

"معنى كلام بشير أن من الحياء ما يحمله صاحبه على الوقار بأن يوقر غيره ويتوقر هو في نفسه، ومنه ما يحمله على أنه يسكن عن كثير مما يتحرك الناس فيه من الأمور التي لا تليق بذي المروءة"[1].

٦. حب زوجها لها:

إن المرأة الحييّة يحبها زوجها ويؤثرها[2] على غيرها إن كانت ذات ضرائر، وبحيائها تتجاوز مشكلات كثيرة في حياتها مع زوجها، وبحيائها يصفح عنها زوجها إذا أخطأت.

---

(١) "فتح الباري": ٥٢٢/١٠، والحديث في صحيح الإمام البخاري: كتاب الأدب.

(٢) سأتحدث في مبحث: ضوابط في حياء المرأة عن حياء المرأة في علاقتها الخاصة بزوجها فلا أعيده هاهنا، ولا أريده من حديثي هاهنا.

٧. إعظام الناس لها:

إن الناس مجبولون على حب الحياء من النساء، فإن رأوا ذلك في امرأة أكبروها وأحبوا ذلك منها، وهذا مما يعظم مكانتها في المجتمع ويرفعها في عين الناس، خاصة في هذا الزمان الذي قَلّ فيه الحياء، والله المستعان.

قال أحد الحكماء: الحياء تمام الكرم، وموطن الرضا، ومُمُهِّد الثناء، ومُوَفِّر العقل، ومُعَظِّم القدر، وداع إلى الرغبة[١].

٨. الاقتداء بها[٢]:

من المهم أن تكون المرأة ذات حياء حتى تقتدي بها النسوة من أهلها، ومن المحيطات بها من قراباتها وصاحباتها ومن يعرفنها، وإن كانت ذات بنات فإنهن سيقتدين بها في هذا الخلق العظيم الذي قَلّ من

(١) "صلاح الأمة في علو الهمة": ٥/٥٦٤.

(٢) هذه الفقرة من إضافات الدكتورة ليلى عطار، وقد عبرت عنها بألفاظي.

يتصف به من نساء هذا العصر، الذي غلبت على الناس فيه عامة وعلى النساء خاصة ضعف الحياء.

المبحث الخامس: صور على ضعف الحياء لدى بعض النساء أو فقدانه

هناك بعض الصور والأحوال والمظاهر في المجتمع تدل دلالة واضحة على ضعف خلق الحياء لدى بعض النساء أو فقدانه، فمن ذلك:

١. بذاءة اللسان وفحش القول:

إن المرأة يجمل بها أن تكون عفيفة اللسان، بعيدة عن البذاءة والفحش، فإن أنوثتها ينبغي أن تمنعها عن هذا، ودينها يحضها على صيانة لسانها من هذا، يقول النبي ﷺ:

"ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء"[١].

---

(١) قال الأستاذ وحيد بالي في كتابه "حفظ اللسان": ١٨: رواه الترمذي: ٣/٢٣٦ وقال حسن غريب، والحاكم وصححه، وقال الحافظ العراقي: إسناده صحيح: تخريج الإحياء: ١٥٦١.

وقال ﷺ:

"إن الله لا يحب الفاحش المتفحش"[1].

وقال ﷺ:

"سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر"[2].

وقد وصف رسول الله ﷺ النساء عامة بأنهن "يكثرن اللعن"[3] فعلى النسوة أن يحذرن من هذا فإنه سبب لدخول النار والعياذ بالله، كما جاء في سياق الحديث الذي قال فيه ﷺ:

"يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار".

فقالت امرأة منهن جَزْلَة[4]: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار.

قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير ...".

---

(١) المصدر السابق: وقال رواه ابن أبي الدنيا والطبراني، قال العراقي: سنده جيد: تخريج الإحياء: ١٥٦١.

(٢) المصدر السابق وذكر أنه قد أخرجه الشيخان.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات ...

(٤) جَزْلَة: أي ذات عقل ودين.

وقال ﷺ:

"لا يكون المؤمن لَعّاناً"[1].

وقال ﷺ:

"إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة"[2].

وقال ﷺ:

"الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار"[3].

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي وقال حسن غريب، كما ذكر ذلك وحيد بالي في كتابه: "حفظ اللسان": ٢٠.

(٢) المصدر السابق وذكر أن مسلماً أخرجه.

(٣) سبق تخريجه.

٢. الصياح ورفع الصوت بغير حاجة:

من المظاهر الدالة على قلة الحياء عند النساء أو انعدامه الصياح ورفع الصوت بغير حاجة، ويقبح بالمرأة هذا الصنيع، فإن من شأنها التستر وخفض الصوت، فإن صنعت غير هذا فقد خالفت فطرتها وخدشت حياءها.

وبعض النسوة يفعلن ما يسمى بـ"الردح" وهو تبادل الصياح والسباب بينهن في الأسواق والطرقات على هيئة شنيعة، ويجتمع الناس عليهن، وهذا من فاعلته دلالة واضحة على قلة الحياء أو هو دليل على انعدامه عندهن، والعياذ بالله، وهذا يكثر من طائفة تسمى بـ "المعلمات"[1]، وهن المسترجلات، والعياذ بالله.

---

(١) ليس المقصود بالمعلمات معلمات البنات في المدارس -حاشاهن- لكن هكذا أطلق على تلكم النسوة هذا اللفظ للدلالة -ربما- على ترؤسهن، والله أعلم.

٣. الضحك والقهقهة:

إن من شأن المرأة إذا كانت مع رجال أجانب في الأسواق والمحافل أن تكون حَيِيّة، وبعض النسوة قد نسين هذه القاعدة، فتجدهن يضحكن وربما قهقهن ويسمعهن الرجال!! فإذا كانت المرأة منهية عن الخضوع بصوتها أمام الرجال فكيف بالضحك والقهقهة فهذه معصية، ودلالة على قلة حياء من صنعت ذلك.

٤. كثرة النظر في وجوه الرجال وإحداد البصر فيها:

إن من شأن المرأة الصالحة غض البصر، يقول الله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[1].

فلا يسعها أن تُحِدَّ النظر في وجوه الرجال، وإن أرادت النظر لحاجة فلا بأس لكن بقدر حاجتها ثم تغض بصرها.

---

(١) سورة النور: آية ٣١.

وكثير من النساء اليوم يشاهدن الأفلام والمسلسلات ونشرات الأخبار ويُسَرِّحن النظر في الرجال، بل قد يقلن إن فلاناً أجمل من فلان أو يعجبن من محاسن فلان!! وقد يكون زوجها أو محرمها حاضراً عندها، فهذه لم تستح من زوجها أو محرمها، ولم تطع أمر الله تعالى في الغض من البصر.

"والأدهى والأمر حين تقوم بالمقارنة بين هؤلاء وبين زوجها، وقد تتجرأ وتعلن ذلك دونما حياء، وهذا مما عمت به البلوى في زماننا هذا"[١].

٥. التحدث بما يجري مع الزوج:

أمر الشارع الزوجين بعدم الحديث عما يجري بينهما في خلوتهما، فقد قال النبي ﷺ:

(١) ما بين القوسين من كلام الأستاذة الفاضلة نبيهة الأهدل حفظها الله تعالى.

"أيكم الرجل الذي إذا أراد أن يأتي أهله أغلق بابه وأرخى ستره ثم جامع أهله، ثم يخرج إلى الناس يقول: فعلت بأهلي كذا وكذا؟

فسكت القوم، فجلست امرأة على ركبتيها وقالت: والله يا رسول الله إنهم ليتحدثون وإنهن ليتحدثن.

فقال ﷺ: أتدرون ما مثل من يفعل ذلك؟ إن مثل من يفعل ذلك مثل الشيطان أتى شيطانة في قارعة الطريق فجامعها والناس ينظرون إليهما"(١).

٦. كثرة الخروج من البيت بغير حاجة ومزاحمة الرجال:

إن الأصل في المرأة القرار في البيوت لتُعنى بزوجها ولتربي أولادها، فإن خرجت كان الخروج خروجاً عن الأصل واستثناء من

(١) أخرجه الإمام أحمد، وفي الحديث ضعف.

القاعدة، قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[1].

والخروج يكون لوظيفة لابد منها للنساء كالطبيبة والممرضة للنساء والمدرسة ومديرة مدرسة البنات وهكذا ...

ويكون لترويح واستجمام مباح، أو لزيارة أخواتها في الله أو لحضور درس إلخ...

"وما نراه اليوم من خروج كثير من النساء إلى الأسواق للتسكع والجلوس في المطاعم والمقاهي كاشفات الوجوه وربما الشعور والنحور، يأكلن ويشربن ويضحكن أمام الرجال لهو مما عمّ وطم، وهو من أخبث أحوال المرأة إذا خرجت من بيتها، خاصة إذا لم يكن معها زوجها أو محرمها العاقل"[2].

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٣.

(٢) ما بين الأقواس من كلام الأستاذة نبيهة الأهدل حفظها الله، وقد تصرفت فيه شيئاً يسيراً.

أما إن أكثرت المرأة من الخروج من البيت، وزاحمت الرجال في الأسواق والطرقات ووسائل المواصلات فهذا يعرضها لخدش حيائها، وربما أفضى بها إلى معاصٍ كانت في غنى عنها.

والعجيب أن بعض النسوة يعمدن إلى الشوارع الضيقة والمزدحمة فيسرن فيها، ولا تكترث بأن يصدمها الرجال أو تصدمهم، ولا أن يحتككن بها فيضيقن عليها، وهذا إن اعتادته المرأة بلا حاجة ماسة دَلّ على ضعف في حيائها بلا ريب.

"وقد تقف المرأة في السوق أمام البائع لتجرب أصباغ الوجه "المكياج" ولربما سألته عن مناسبة ذلك لوجهها!! ولربما رشت العطر على جسدها وسألته عن جودته!! ولا تَسَلْ عما يخالط ذلك ويتبعه من ضحك وكلام، وهذا كله مضعف للحياء أو مذهب له"[1].

(١) ما بين الأقواس من كلام الدكتورة ليلى عطار وقد عبرت عنه بألفاظي.

"وقد أصبح كثيرات من النساء يقضين الأوقات الطويلة في الأسواق، ويجعلنها أماكن للترفيه والترويح!! ويظللن فيها ساعات طويلة، وهذا مما دعا ضعاف النفوس من الرجال إلى التحرش بهن ومضايقتهن".(١)

٧. المماكسة المطولة(٢):

بعض النسوة إذا نـــزلن إلى الأسواق يماكسن الباعة مماكسة مخلة ويراجعنهم في ذلك، والتطويل العجيب والرجاء والخضوع بالقول وإحراج البائع بالإلحاح على تخفيض الثمن.

وهذا لا يجوز شرعاً لما فيه من الخضوع بالقول، والبيع -إن انعقد- فهو مكروه لأنه انعقد بسيف الحياء من البائع، وهو أيضاً دال على أن حياء هذه المرأة مخدوش، فلو اكتمل حياؤها لصنعت غير هذا

---

(١) ما بين الأقواس من كلام الدكتورة ليلى عطار وقد عبرت عنه بألفاظي.

(٢) المماكسة هي محاولة تخفيض ثمن البضاعة والمراجعة في ذلك، وهي التي يسميها العامة "المفاصلة".

الصنيع، ولتجنبت الانزلاق إلى مثل هذا، وإليكم هذه الحكاية المنبئة عن مفاسد المماكسة:

"دخلت امرأة محلاً لبيع الحلويات وتبعها زوجها ... يحمل طفلاً ويمسك بيده الأخرى طفلاً آخر، وأخذت الزوجة تجادل البائع في سعر البضاعة وتماكسه فارتفعت منها قهقهة لفتت أنظار الرجال الذين اكتظ بهم المحل، والزوج واقف خلفها كأن الأمر لا يعنيه، وبعد جدال طويل بينها وبين البائع اقتنعت بالسعر فاشترت البضاعة وأخرجت من حقيبتها مالاً فنقدت البائع وخرجت وزوجها يتبعها"(١).

فلا أدري على ماذا أتحسر: أعلى ضياع الحياء أم على ضياع قوامة الرجل وغيرته؟ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) "كشكول الأسرة": ٣٦.

٨. الاختلاط في المدارس والجامعات والوظائف والعمل:

وهذا من أكبر المدمرات لخلق الحياء عند الإناث، لما يجره الاختلاط من التساهل في الكلام والضحك، وهذا كله مشاهد معلوم من حال أهل الاختلاط، والعياذ بالله.

وهل الزواج العرفي[1] -الذي هو زنا على الحقيقة- في كثير من الجامعات المختلطة إلا من آثار الاختلاط وذهاب الحياء.

٩. اللباس غير الشرعي أو غير اللائق في المنـــزل أمام المحارم:

تظهر بعض النساء أمام محارمهن على هيئة ليس فيها حياء، فيلبسن الضيق الذي يحدد العورة أو يلبسن اللباس الخفيف الذي يُشف عما تحته، وهذا اللباس مخالف للباس الشرعي، ومخالف لما ينبغي أن

(١) وهو الزواج الذي ليس فيه إذن الولي وربما لم يشهد عليه أحد، إنما تُكتب ورقة يكتفى بها عن أركان الزواج الشرعي.

تكون عليه المرأة من الحياء، ومثل هذا اللباس قد يجر الفتنة بين المحارم والعياذ بالله.

وبعض النسوة يلبسن مثل هذا اللباس أمام أمهاتهن وأخواتهن وبناتهن وزميلاتهن ويزعمن أنه لا شيء فيه ما لم يكن هناك ذكور من محارمهن، وهذا لا يجوز، سواء لُبس أمام المحارم الذكور أو الإناث.

ولا أدري لماذا تتعلق النسوة بالسراويل الضيقة "البنطلونات" ويُصْرِرْنَ على لبسها، وفيها مضار صحية ومضار من الوجه الذي ذكرته آنفاً، وإن أصررن على لبسها فلتكن واسعة بحيث لا يكون فيها حرج، ويلبسن قميصاً يغطي أعجازهن، فهذا أسلم لهن وأحسن وأبعد عن مخالفة الشرع المطهر، والأحسن من هذا كله هو لبس ما يسمى بالفستان أو بالتنورة "الجيبة" فهذا يحفظ على المرأة عورتها وهو أبعد عن التكشف أو الفتنة.

ـــ **وقد سئل الشيخ ابن عثيمين** -رحمه الله- عن هذه المسألة وهي لبس الملابس الضيقة عند النساء وعند المحارم فقال:

"لبس الملابس الضيقة التي تبين مفاتن المرأة وتبرز ما فيه الفتنة محرم؛ لأن النبي ﷺ قال: صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا" رواه مسلم.

فقد فُسر قوله كاسيات عاريات بأهن يلبسن ألبسة قصيرة لا تستر ما يجب ستره من العورة، وفُسر بأهن يلبسن ملابس ضيقة فهي ساترة عن الرؤية لكنها مبدية لمفاتن المرأة، وعلى هذا فلا يجوز للمرأة أن تلبس هذه الملابس الضيقة إلا لمن يجوز لها إبداء عورها عنده وهو الزوج ... وأما بين المرأة والمحارم فإنه يجب عليها أن تستر عورها،

والضيق لا يجوز لا عند المحارم ولا عند النساء إذا كان ضيقاً شديداً يبين مفاتن المرأة.

ــ **وسئل الشيخ صالح الفوزان** -وفقه الله- عن امرأة لديها أربعة أولاد وأنها تلبس أمامهم القصير فما حكم ذلك؟

فأجاب:

لا يجوز للمرأة أن تلبس القصير من الثياب أمام أولادها ومحارمها، ولا تكشف عندهم إلا ما جرت العادة بكشفه مما ليس فيه فتنة، وإنما تلبس القصير عند زوجها فقط.

وأجاب أيضاً عن سؤال آخر:

لاشك أن لبس المرأة للشيء الضيق الذي يبين مفاتن جسمها لا يجوز إلا عند زوجها فقط، أما عند غير زوجها فلا يجوز حتى لو كان بحضرة نساء لأنها تكون قدوة سيئة لغيرها ...

١٠. اللباس غير الشرعي أو غير اللائق في الأفراح والحفلات:

إن الذي نُقل من شأن لباس بعض النساء في الأفراح أمر يندى له الجبين، فأولئك النسوة يذهبن إلى الأفراح بلباس غير جائز شرعاً إذ تبدو منه بعض العورة التي لا يجوز ظهورها إلا أمام الزوج، وصار هذا فاشياً عند كثير من النساء؛ فيلبسن القصير، أو الطويل المفتوح إلى ما فوق الركبة أو إلى أبعد من ذلك والعياذ بالله، ثم إنهن لا يكتفين بذلك بل يعمدن إلى الرقص بتلك الملابس فيزدن الطين بِلّة، والأعجب من ذلك عندي أمران:

أولهما: أنه قد صار ذلك سارياً بغير نكير في كثير من الأفراح إلا على استحياء وعلى قلة من بعض الصالحات.

ثانيهما: أن المرأة التي لا تلبس مثل تلك الملابس أو قريباً منها صارت غريبة وربما ضحكت النسوة منها أو رأينها نشازاً بينهن !!

ـــ وبسبب هذا الأمر تقطعت بعض الصلات الاجتماعية بين النسوة؛ إذ تعمد بعض النسوة الصالحات في أفراحهن وحفلاهن إلى إغفالهن دعوة أولئك النسوة حتى لا يفسدن عليهن أفراحهن وحفلاهن، ويغرين غيرهن ويُعديهن، وهذا منهن عمل لا مناص منه، وهو مهم للحفاظ على الأفراح خالية من المنكرات.

وإن مما استقر في الفقه أن المرأة لا يجوز لها أن تظهر شيئاً من عورها -على هذا الوجه- إلا أمام زوجها فقط لاغير، فمال كثيرات من النساء قد تهاونّ في إظهار هذه العورة فيلبسن الملابس القصيرة أو السراويل الضيقة "البنطلونات" التي تبرز العورة، وهذا على أنه محرم شرعاً فهو أيضاً مَعِيب عُرفاً ويعد علامة على تضييع الحياء وضعفه، وقد يجر إلى الفتنة والفساد بين النساء، والعياذ بالله.

وقد كثر لبس هذا اللباس في الأفراح والحفلات حتى كاد يكون هو السائد على غيره من اللباس، وانتشر العري بين النساء على

اختلاف أعمارهن، وطبقاهن، مقلدات للنساء المتبرجات في القنوات الفضائية والمجلات الماجنة، وأصبحت النسوة اللواتي يلتـــزمن بالحدود الشرعية والآداب المرعية يتحرجن من القدوم على مثل هذه الأفراح والحفلات لما يعلمنه مما يجري فيها من تضييع للحياء[1]، وصدق الشاعر حين قال:

لحـــد الـــركبتين تُشـــمرينا   بربّـــك أيَّ نهـــر تعبرينـــا

كأن الثـــوب ظِـــلٌ في صـــباح   يزيـــد تقلصـــاً حينـــاً فحينـــاً

ــ أما من تلبس اللباس غير الشرعي أمام الرجال، فقد ارتكبت محرماً أشنع، وكانت لحيائها أضيع، وهذا يكون أيضاً في شواطئ كثير من

(١) ذكرت الدكتورة خديجة بادحدح -حفظها الله تعالى- أن هناك امرأة أمريكية مسلمة حضرت حفل زفاف في المملكة فتعجبت من اللباس الذي يبدي الظهر والنحر والصدر وقالت: عجباً، لم= تلبسن هكذا وكلكن نساء؟! نحن في بلادنا نلبس هكذا لأن أعراسنا مختلطة ونريد إغراء الرجال وإغوائهم بهذا اللباس، أما أنتن فمن تُغْرين؟!

ولعمر الحق إن كلام هذه المرأة الأمريكية قد لامس الواقع، وتساؤلها في مكانه تماماً.

بلاد الإسلام حيث تضيع الفضيلة وينعدم الحياء عند الرجال والنساء، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

١١. اللباس غير الجائز شرعاً في الأسواق والطرقات:

بعض النسوة يخرجن من بيوهن إلى الأسواق أو إلى غيرها من الأماكن بحجاب غير مكتمل الشروط فتخرج بعباءة ضيقة أو "بالطو" ضيق، فتبرز منها العورة.

وقد يكون "البالطو" أو العباءة مزركشة.

وقد تكون ذات ألوان متعددة فتجذب الأنظار.

وقد يصف اللباس عباءة كانت أو "بالطو" ما تحته أو يكون مفتوحاً بحيث يظهر ما تحته من ملابس غير صالحة لأن تظهر للرجال الأجانب.

وبعضهن يخرجن من بيوتهن بلا عباءة ولا "بالطو" بل بالقُمص "الفنايل، البلوزات" القصيرة والسراويل "البنطلونات" ويكتفين بوضع شيء على رؤوسهن ثم يلقي الشيطان في رُوعهن أن هذا هوالحجاب!!

وكل هذا الذي ذكرته داخل تحت ما صار يسمى بـــ "حجاب الموضة" والذي ابتليت به المجتمعات الإسلامية في هذا الزمان وأُريد له أن يحل محل الحجاب الشرعي ذي الشروط والضوابط المعلومة.

وقد عملت بعض القنوات الفضائية على إقرار هذا النوع من الحجاب في المجتمع بما صنعته من تصدير النسوة اللابسات لهذا الذي يسمونه حجاباً ليقدمن البرامج وليقتدي بهن سائر النسوة اللواتي يروهن، فترى المذيعة أو المقدمة من هؤلاء تخرج على الناس بلباس لا يصلح إلا للأفراح والحفلات، ثم تلقى على رأسها شيئاً ملوناً مزركشاً

وقد تكون صابغة وجهها بالأصباغ "المكياج" ثم تسمي هذا كله حجاباً!! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد تدرج الشيطان بالمرأة والمجتمع حتى صار هذا اللون من الحجاب مقبولاً، بل قد حدثني أحد الإخوة، وهو من بلد عربي اشتهر زماناً طويلاً بالحجاب المنضبط، حدثني بأن البنت في بلده إذا لبست السراويل "البنطال" ولبست القميص القصير "الفنيلة أو البلوزة" ووضعت على رأسها شيئاً إذا صنعت ذلك عُدت محجبة، واحتفل بها أهلها فرحاً بما صنعت!!

أين هذا اللباس من اللباس الذي كانت تلبسه المرأة في بدايات صحوتها المباركة قبل قرابة ثلث قرن؟!

وقد حدثني بعض الإخوة من المغرب أن المرأة عندهم كانت تلبس ما يسمونه الحايك فهو أشبه بالملاءة والعباءة، فلما لبست "البالطو" في التسعينات الهجرية/ السبعينات الميلادية كان بعض

الشباب المتحمس يشقه بالسكين إذا رآه عليها[1]، فكيف إذا رأى أولئك ما صنعته النساء اليوم، حتى صارت من تلبس "البالطو" في قمة سامقة من الاستمساك والالتـــزام؟!.

وقد علم أعداء الإسلام منذ بدايات الصحوة المباركة قبل ثلث قرن تقريباً أن المرأة المسلمة -في الأغلب- مستمسكة بحجابها، لا سبيل إلى خلعه عنها، فعمدوا إلى حيلة خبيثة وهي أن يزينوا لها لباساً ظاهره أنه حجاب لكنه على الحقيقة لا يوفي بشروط الحجاب الشرعية، وتدرج أولئك الأعداء بذلك اللباس على مراحل حتى صار على ما نشاهده اليوم من عجائب في الطرقات والمحافل!!

١٢. التمثيل !!:

لاشك أن المرأة الممثلة فاقدة للحياء تماماً، وأي شيء يبقى من الحياء عند امرأة تمثل على النحو المعروف من التمثيل في السينما والتلفاز؟

(١) "لا يجوز شرعاً هذا الصنيع، إنما ضربته مثلاً فقط.

والعجيب أن هناك مقابلة عُقدت مع امرأة فاجرة احترفت التمثيل منذ زمن طويل، فسئلت السؤال التالي:

كثيراً ما قدمت فلانة مشاهد الإغراء في أعمالها، فما رأيك في هذه الأدوار؟

فأجابت فضّ الله فاها، إن لم يُكتب لها الهداية:

أقول: إن الإغراء شيء والعري شيء آخر، وأنا أرفض تقديم ما يخدش الحياء والقيم!!! !!!، وأقبل أدوار الدلع الأنثوي، وهذا حقي ... إلى آخر ما فاهت به بل ما ما قاءت به[1].

وهذا الذي قالته دليل على خلل في الفطرة وانتكاسة في الفكر، نسأل الله العافية والسلامة من صنيع أولئك الفاجرات.

---

(١) موقع قناة العربية الأربعاء ٣٠ ربيع الأول سنة ١٤٢٥/١٩ مايو ٢٠٠٤.

الممثلات المحجبات !!:

وإن مما شاع في هذا العصر أن بعض النسوة اللواتي يزعمن أهن محجبات سُلكن في سلك التمثيل فأصبحن ممثلات، وداهية الدواهي، وثالثة الأثافي أن بعض المشايخ -غفر الله لهم- أفتى للنسوة المحجبات أن يمثلن التمثيل الإسلامي، وأفتى لمن هداهن الله من الممثلات التائبات أن يعدن إلى التمثيل فإن الأمة بحاجة إلى الفن الهادف!! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد شاعت هذه الفتاوى حتى أصبحت كالمسلمات فيما يسمى بالوسط الفني.

ولا أدري هل فات على من يفتي بهذا مجموعة من الحقائق والضوابط في هذا الباب أو أنهم تغافلوا عنها، فمن ذلك:

١. أن المرأة لا تصبح ممثلة -في الأغلب- حتى تلتحق بمعاهد السينما أو التمثيل التي يضيع فيها الحياء وتسقط فيها القيم،

ولئن قيل إن الممثلة التائبة قد فرغت من التدريب فلا حاجة لها بهذه المعاهد، فأقول: ماذا سنصنع بالتمثيل النسائي إذا انقرض جيل الممثلات التائبات؟ ومن أين سنأتي بغيرهن؟!

٢. إن المرأة أثناء التمثيل وقبله تكون عرضة لاختلاط معيب، ومشاهد مخلة بالأدب تراها هاهنا وهنالك وإن لم تشارك فيها، وهذا كله غير جائز شرعاً ومضيع لحياء المرأة.

٣. إن بعض المشاهد التي تمثلها النساء اللواتي يزعمن أنهن محجبات تقتضي منهن أعمالاً وأقوالاً لا تجوز شرعاً فهي مضيعة للبقية الباقية من الحياء، فقد رأيت ما يسمونه بالتمثيلية الهادفة وفيها النسوة اللواتي يُزعم بأنهن ممثلات محجبات، وفيها أن المرأة تمثل أنها زوج، فتقول لمن يمثل بأنه زوجها: ياحبيبي!! ويقول لها: ياحبيبتي!!

وتنظر إليه بوله وإعجاب وهو ينظر إليها كذلك على هذا النحو من النظر!! فهل يقول فقيه بجواز ذلك يا عباد الله وإمائه؟!!

٤. إن بعض الممثلات التائبات لما عدن إلى التمثيل بفتوى بعض المشايخ -غفر الله لهم- انـــزلقن مرة أخرى إلى الهاوية التي كُنّ فيها وتركن الحجاب، وأغواهن الشيطان والعياذ بالله، وهذا مصير يمكن أن تصير إليه كل امرأة تعمل في هذا المجال المشبوه، والعياذ بالله.

وبعض من بقيت على حجابها منهن قد أفسده الشيطان عليها بكثرة ألوانه وبما تضعفه على وجهها من مساحيق التجميل حتى غدت كأنها عروس في ليلة زفافها!!

فهل يقول قائل بعد ذلك بجواز التمثيل للنساء ؟! وأي حاجة لنا في ذلك؟ وهل لهذا خلقت المرأة ؟!

١٣. ذهاب المرأة إلى الطبيب بدون حاجة:

تعمد بعض النسوة إلى الذهاب إلى الأطباء الرجال في عياداهم الطبية من أجل العلاج من أمراضهن، وهذا إن كان في الأمراض التي

لا طبيب لها إلا الرجال واحتاجت المرأة إلى العلاج فلا بأس به إن شاء الله تعالى، على ألا تكون هناك خلوة.

لكن المصيبة كل المصيبة أن تذهب المرأة لتكشف عن عورتها عند طبيب لعلاج مرض هناك من يعالجه من النسوة الطبيبات، بدعوى أن الرجل أمهر من المرأة وأكثر تميزاً، وهذا لا يجوز شرعاً صنيعه؛ فإن العورات مما لا يجوز كشفها للأطباء إلا في حال الضرورة أو الحاجة التي تنـــزل منـــزلة الضرورة وإذا لم يكن هناك طبيبات يعالجن ذلك، أما أن تسارع المرأة لكشف عورتها بتلك الدعوى فهذا مما يقبح بها صنيعه.

والأمر العجيب حقاً والدال بوضوح على ضعف أو انعدام الحياء عند المرأة هو ذهابها إلى طبيب النساء والولادة لتكشف عورتها المغلظة عنده، وربما أدخل يده في فرجها ليعالج رحمها أو ليضع لها اللولب!! وقد يكون هذا بلا وجود محرم، أو بخلوة، والعياذ بالله، وقد يكون هذا وزوجها معها، وتلك عندي دلالة واضحة على انعدام القوامة وضعف الحياء إلى حد مفزع.

هذا وهناك ثلة من النساء المتميزات في هذا التخصص فلم تتركهن المرأة وتذهب عند الأطباء؟ والجواب عند أولئك النسوة هو أن الرجل أمهر وأحسن وأقوى!! وهذا -شرعاً- لا يجوز، والمهارة متفاوتة وغير منضبطة فهذه حجة واهية، والأعجب من هذا أن زوجها ربما يكون هو الآخذ لها إلى الطبيب فلا أدري والله ممن يشتد عجبي أمن الرجل أم من المرأة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

نعم إن كانت المرأة تعاني من مرض لا يستطيع علاجه إلا الطبيب فهذا له مسوغه الشرعي.

١٤. التدخين:

إن من أدل الصور على تضييع الحياء هو تدخين النساء في المحافل العامة والأفراح والحفلات، وإن الأمر الأصعب والأدل على تضييع الحياء هو التدخين أمام الرجال، وهذا قد فشا في المجتمعات الإسلامية، وإنا لله وإنا إليه راجعون، فتجد المرأة تدخن السجائر أو تمسك بما يسمى "الشيشة" أمام الرجال وتأخذ في التدخين بلا أي رادع من دين أو حياء، "وقد تدخن أمام زوجها، وقد يتعاقبان تدخين

الشيشة في وقاحة وقلة حياء لا مزيد عليها"[1] ولم يكن يدور بِخَلَد الناس قبل سنين معدودات أن هذا يقع في بلاد الإسلام لكن قد كان ما خاف الصالحون أن يكون، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذا التدخين إن وقع من النساء اللواتي لا يلتـــزمن بالشرع فهو بلاء لكن إن وقع من المحجبات والملتـــزمات فهو البلاء المستطير، وقد رأيت مراراً في بعض البلاد الإسلامية نسوة محجبات ويدخن أمام الناس، في الشوارع والمطاعم، وهذا لعمر الحق من أشد ما رأيته من صور تضييع الحياء، ولما أنكرت مرة صنيع إحداهن نظر إلي أحد الرجال مدهوشاً من صنيعي وقال إن هذا عندنا شيء معتاد !! فإلى الله المشتكى من هذا الزمان الذي صار فيه المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وقَلَّ فيه الحياء على هذا الوجه.

وهذا التدخين هو -على كونه حراماً، وقلة حياء- مذهب لأنوثة المرأة، فبالله كيف تكون ذات أنوثة وجاذبية مَن تنفخ من فمها وأنفها هذا الدخان فيصير فمها أسود وأسنانها صفراء، وأصابعها التي

(١) ما بين الأقواس من كلام الأستاذة الفاضلة نبيهة الأهدل وقد تصرفت فيه..

تمسك بها اللفافات صفراء ورائحتها كريهة؟ فالعياذ بالله من قلة التوفيق إذا صحبها قلة الحياء ومخالفة الشرع.

١٥. التعامل الخاطئ مع وسائل التقنية الحديثة:

أ. الحاسب:

قد ولج الحاسب كثيراً من بيوت المسلمين، وأصبح كثير من النساء والبنات يحسنّ استعماله، وهناك من يستعمله في الخير وإرضاء الله تعالى، وهناك منهن من تستعمله في الشر والعياذ بالله.

والناظر إلى ما يجري فيما يسمى بـــ "الشات" و"الماسنجر"، يعلم هذا، وقد خربت كثير من البيوت بسبب الاستعمال غير الشرعي لهذه التقنيات الحديثة، وإن المرء ليأخذ منه العجب كل مأخذ حينما يسمع بأن هناك فتيات يكلمن الشباب من خلال هذه التقنيات، ويتصلن بهم، وربما عرضن صورهن عليهم من خلال آلات التصوير الناقلة عبر الحاسوب، وهذا على أنه لا يجوز شرعاً فهو دال -أيضاً- على ضياع الحياء، وضعف التربية، ولا أدري أين هي الرقابة الأسرية، وكيف تترك البنت على هذا الحال؟

ب. الجوال:

وفيه تقنيات عديدة كـ"البلوتوث" و "الرسائل" وأيضاً هذا يُساء استخدامه من قبل كثير من النساء والبنات، وليس التفصيل ها هنا بمراد، ولا يطيقه القلب؛ إذ قد سبب الاستخدام السيء لهذه التقنيات مشكلات كثيرة وبلاء عظيماً.

"وبعض الأمهات يسمحن لبناتهن الصغيرات باقتناء الجوال بدعوى الاطمئنان عليهن إذا خرجن، وهذا يفتح على البنات باب شر كبير"(١).

ج. القنوات الفضائية(٢):

وهذه بلية -أيضاً- إذا استخدمت على وجه سيء، والعجيب أن كثيراً من البيوت لا تضع من القواعد والضوابط ما يضمن معه حسن الاستعمال لهذه القنوات، فتجد الأجهزة التلفازية منبثة في غرف

---

(١) ما بين الأقواس من كلام الأستاذة الفاضلة نبيهة الأهدل، وقد أوردته بتصرف.

(٢) قد وُجدت أطباق فضائية لا تأتي إلا بالمفيد النافع من القنوات مثل طبق قنوات المجد، وطبق "الفلك"، فهذا بديل حسن كافٍ إن شاء الله تعالى.

نوم البنات فتطلع البنت على ماشاءت كيفما شاءت وقت ما شاءت، وهذا يؤدي إلى استسهال النظر إلى المحرمات، ومِن ثَم إلى تضييع الحياء.

والمشاهد أن هذه القنوات الفضائية تدرجت بالناس منذ إنشائها إلى الآن تدرجاً في عرض المحرمات حتى يستسهل المشاهدون النظر، ويرون هذا المنكر فلا تعود نفوسهم تنفر منه ولا تنكره، وهكذا نزعت هذه القنوات الحياء من نفوس كثير من الناس عامة، والنساء خاصة، وإنا لله وإنا إليه راجعون(١).

١٦. الاشتغال بوظائف تقتضي الخلطة المحرمة كالطيارة والمضيفة والسكرتيرة:

ابتلي المجتمع المسلم في هذا الزمان بعمل المرأة في السكرتارية والضيافة الجوية، وهذه الأعمال تقضي على حياء المرأة، وهي أعمال

---

(١) قالت د. زينب الشرقاوي حفظها الله تعالى، وقد سقت قولها بتصرف يسير:
"إن الخطر الكبير في بعض القنوات الفضائية هو الأفلام الإباحية التي تنشر الفاحشة والشذوذ، والأفلام المدبلجة التي جذبت الشباب والشابات وفيها نشر للفاحشة، وتحريض على عقوق الوالدين، وإضعاف لأثر الرجل في البيت ووظيفته في الأسرة".

غير جائزة شرعاً، فإن من لوازم عمل المرأة في مجال السكرتارية غالباً الخلوة بمديرها أو الخلوة بزائر للمدير أو صاحب معاملة، وهذا لا يجوز، وكم من البلاء جَرّه على النساء العمل في هذا المجال.

أما العمل في مجال الضيافة الجوية فأنا من أعلم الناس به، ولا ينبئك مثل خبير، فهناك يسفك دم الحياء ويُزهق، فكم من مثن على جمال الوجه والجسد، وكم من مازح، وكم من الضحكات والنكات، وكم من لامس وكم من قارص!! وفي حالات كثيرة يقع أكثر من هذا !!

ولا تسل عن الاختلاط الفاحش المعيب الذي يذهب بكثير من الحياء أدراج الرياح ويطرح به بعيداً، وأنا لا أقول إن هذا حال كل المضيفات، لا فإن بعضهن لا يرضين بهذا ويكرهنه لكن كثيراً من هذا الذي ذكرته إنما أصبح يُعَدُّ من مقتضيات العمل وهذا البلاء جَرّه على النساء طبيعة العمل وقربهن من الرجال واستمراء المنكر واستسهاله.

وهناك كثير من مؤسسات وشركات ما يسمى بالقطاع الخاص توظف النساء وتخلطهن بالرجال خلطة عجيبة مريبة.

وفي المستشفيات وُظفت النساء ليستقبلن الرجال وليضربن لهم المواعيد مع الأطباء فهل لنا بهذا من حاجة؟!

أوَ لا يستطيع الرجال أن يفعلوا هذا؟! إنا إن وظفنا الرجال فإنهم سيمتلكون من المال ما يتزوجون به ويعفون أنفسهم ونسائهم، أما إن وظفنا النساء عوضاً عن الرجال فما الذي سيعود على المجتمع من بطالة الشباب وتسكعهم؟! ومن جرأة النساء وقلة حيائهن واعتيادهن الخلطة مع الرجال؟! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

١٧. بعض البرامج النسائية في القنوات الفضائية:

هناك بعض البرامج التي تُبث في بعض القنوات الفضائية يندى لها جبين الفضيلة، ولا أثر للحياء فيها أبداً، وقد يكون المدير لهذه البرامج رجلاً، وهو قليل، أو امرأة وهو الأكثر، وفي الأغلب لا تكون

محجبة، أو ممن ابتلين بحجاب الموضة، والعجيب أن المرأة تناقش الموضوعات الحرجة جداً التي لا يجوز أن تثار في قنوات فضائية يشاهدها الصغير والكبير، العجيب أنها تناقشها بحجة "لا حياء في الدين"، وهذه كلمة عامة جداً لابد من تقييدها بأن السؤال عن الموضوعات الحرجة والخاصة لا يكون عبر قنوات فضائية إنما ينبغي أن يكون في دوائر ضيقة، ثم تأتي هذه المرأة بكامل زينتها لتثير هذه الموضوعات الخاصة جداً مع نساء أخريات على شاكلتها -غالباً- وجمهور من المراهقات والفتيات والنساء وربما الرجال والشباب أيضاً!! لا يحجزها عن الحديث حاجز من حياء ولا دين، ولا يكفها عن التمادي في ذلك كافّ مهما كان!!

ولا ريب أن ذلك دال على قلة الحياء التي صارت سمة على هؤلاء النسوة المقدمات والمثيرات لهذه الموضوعات.

"وفي بعض برامج الإفتاء تتصل بعض النسوة بالشيخ ليسألن عن أمور حرجة بطريقة غير لائقة، وبألفاظ غير سائغة، وكان الأولى بهن غير ذلك حتى لا يحرجن المشايخ"(١).

١٨. الإعلانات التي تقبل المرأة الظهور فيها:

وهذا من صور قلة الحياء عند بعض النساء اللواتي يقبلن أن يظهرن في الإعلانات ليراهن الناس، فيتمايلن ويخضعن بالقول، والعجيب أن بعض هؤلاء يلبسن حجاباً -أو ما يرينه حجاباً- فبالله أي حجاب هذا؟ وهل شرع الحجاب إلا لنـــزع الفتنة ووأدها؟

وهناك إعلانات تستخدم المرأة للترويج لبعض الأدوية المنشطة، أو العقاقير المحفزة، أو الترويج لعطور معينة أو الترويج للفوط النسائية، أو غير ذلك، ويعمد هؤلاء النسوة فيها إلى أقوال وأفعال دُربن عليها، وأقل ما يقال فيها إنها لا علاقة لها بحياء ولا خلق ولا فضيلة.

---

(١) ما بين الأقواس من كلام الأستاذة الفاضلة نبيهة الأهدل وقد تصرفت فيه.

والعجيب أنه قد جرت دراسة في أمريكا على هذا النوع من الإعلانات التي تدغدغ الغرائز، فأبدت ٢٨% من النسوة اللائي سئلن عن استيائهن من هذا الأسلوب الدعائي وأهن يتجنبن النظر إليه ومتابعته، و ٥٨% يرين أن لهذه الإعلانات أثراً سيئاً في المجتمع، وذكر كونر وايت -وهو صحفي متخصص بالموضة في صحيفة نيويورك تايمز- أن بعض الإعلانات التجارية التي توظف المرأة لإخراج مشاهد مثيرة تحولها إلى سلعة وتجردها من كرامتها وإنسانيتها لتصبح هي السلعة بدلاً من منتج الشركة.

ونشر موقع اسمه americandecency.org قائمة بأسماء الشركات التي تعتمد في حملاتها الدعائية على إثارة الرجل وامتهان المرأة معتبرين أنها تخالف المعتقدات المسيحية التي جاء بها الإنجيل!![1]

فانظروا -رعاكم الله- إلى هؤلاء الكفار ورأيهم في إعلاناتهم، وانظروا ماذا تفعل عندنا في بلادنا الإسلامية قنوات الفجور والانحطاط

(١) موقع قناة العربية الأربعاء ٣٠ ربيع الأول سنة ١٩/١٤٢٥ مايو ٢٠٠٤.

الخلقي التي أذهبت حياء نساء لا يحصين كثرة بسبب ما يذاع فيها ويبث من سوء وضلال.

وقال باحث:

"وَتكْمن الإشكالية الكبيرة في الإعلان اليوم -أيضاً- في انفلاته من جميع الضوابط والقيم الأخلاقية، واستباحته لكل شيء يُمْكِن من الترويج والإثارة والإغراء بالاستهلاك وكشف المستور والعبث بالعورات واعتبار ذلك من مستلزمات الفن وأسباب النجاح، وتوظيف جسد المرأة الذي بات المحور الرئيسي للإعلان.

والخطورة تكمن اليوم في فلسفة الحضارة الغربية التي تتركز على إشباع الغرائز والشهوات، والفصل بين الأخلاق والجمال، ولذلك نجد أن معظم الإعلانات تشترك في شيء واحد وهو الرقص، أو ما يدخل في باب الرقص، فالرقص أساس الإعلان، والتثني والدلع

هما بداية الإعلان ومنتهاه، ولُــحْمته وسَداه[1]، ومن هنا يمكن الزعم بأن الدنيا تبدوا راقصة من خلال إعلانات التلفزيون ..." [2].

١٩. ضرب الزوج أو إهانته أمام الناس أو في الخلوة !!

إن من أكبر الدلائل على قلة حياء المرأة هو إهانتها زوجها أمام الناس أو ضربه!! وهذا يدل -أيضاً- على فقدان الرجل للقوامة، وإن المرأة التي تصنع هذا تعد عاصية وقليلة حياء، وإليكم هذه الحوادث التي ذكرها لي ثقات، وهي دالة على التردي العجيب والضعف الواضح في خلق الحياء:

ــ حدثني أحد الصالحين أنه مَرّ بسوق من الأسواق فوجد فيه رجلاً ملقى على الأرض وامرأته فوقه تضربه، وهي امرأة سمينة، فقال:

---

(١) اللحمة في الثوب هي خيوط النسيج العرْضية التي يُلْحم بها السَدى، والسَدى هو: خيوط النسيج الطُولية، وانظر "المعجم الوسيط": س د ي، ل ح م.

(٢) بحث "الإعلام والهيمنة الثقافية: المغرب العربي نموذجاً" للأستاذ عبدالباسط دردور، المنشور في مجلة كلية الدعوة الإسلامية في طرابلس الغرب: العدد رقم ١٩ ص٣٤١.

تعاونت مع ثلاثة رجال حتى استطعنا رفعها عن زوجها المسكين وكفها عن ضربه !!

ـــ وحدثني أيضاً من أثق به فقال:

كنت في زيارة رجل لأستوفي منه أجرة المنـــزل، وقد كنت معه أشرب الشاي فما راعني إلا صياح امرأته عليه ومناداتها له من وراء الباب، فلما أجابها أخذت بلحيته فصارت تجره إليها بها فتخرج رأسه من الغرفة وجسده فيها، ثم تعاتبه، ثم تعيد رأسه إلى الغرفة وهكذا صنعت مرات عديدة وأنا أراقب ما تصنع فلما أكثرت وتمادت وعظتها فقالت: اسكت، فهذا حمار !!

ـــ وذكر الشيخ العياشي في كتاب "ماء الموائد" وهو كتاب ضمنه رحلته إلى الحج، ذكر أن نساء المدينة في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي كان لهن -إذا أقبل الركب الشامي في الحج- "عادة مذمومة، وهي أنه لا تبقى مخدّرة من النساء شريفة كانت أو

وضيعة إلا خرجت تباشر البيع والشراء بنفسها، ولهن على الرجال في ذلك الوقت إتاوة يؤدونها لهن يتعن بها ما أحببن من اللائق بهن من طيب وشبهه، وربما لا تقنع إحداهن من زوجها إلا بالخمسين ديناراً فما فوقها، فقد حُكي لي أن امرأة بعض المدرسين بها أعرفه طلبت منه في ذلك اليوم ما تخرج به إلى السوق على العادة، فدفع لها عشرة دنانير ذهباً فاستقلتها، وذهبت من شدة الغيظ فرمت بها في المرحاض وأتلفتها عليه، وقالت له: أمثلي يخرج إلى السوق بهذا المقدار؟ فلم يملك من أمره إلا أن ذهب وتسلف خمسين ديناراً فدفعها لها، وهذه حسرة عظيمة، وذل للرجال الذين جعلهم الله قوامين على النساء، فلا ينبغي لذي همة أن يرضى بذلك"[1].

هذا وإن سوء معاملة الزوج لزوجه قد يدفع بالمرأة إلى الرد عليه وربما شتمته وأهانته فيضيع منها حياؤها شيئاً فشيئاً، وهذا مشاهد معروف في المجتمع، وكذلك سوء معاملة القائمين على المرأة

---

(١) "المختار من الرحلات الحجازية": ١/٢٧٣-٢٧٤.

لها من أب أو أخ قد يولد في نفسها مشاعر مضطربة إزاء ما تتعرض له وقد يكون طريقاً إلى مطالبتها بنـــزع القوامة والمساواة مع الرجل في كل شيء، وهذا طريق قد يفضي بحيائها إلى الضياع أو النقص المعيب.[1]

ـــ تلك كانت أقوالاً وأفعالاً دالة -بلا شك- على ذهاب الحياء أو ضعفه، وينبغي على الأمهات والداعيات والمربيات والقائمات على شؤون الفتيات أن يعملن على معالجة تلك الظواهر، وتربية الفتيات منذ نعومة أظفارهن على الحياء وعلى البعد عن هذا الزلل في القول والعمل، وسآتي في المبحث القادم بشيء من طرائق العلاج، والله المستعان.

- - - - - - - - -

(١) هذه الفقرة من إضافات د.آمال نصير والأستاذة حنان عون حفظهما الله تعالى، وقد عبرت عن كلامهما بألفاظي.

المبحث السادس: علاج قضية قلة حياء البنات

إن لهذه القضية علاجات عديدة، وعلاجها أمر لابد منه لا يؤخر، فلا يَحْسُنُ إلا المبادرة؛ حفاظاً على المجتمع المسلم، فمن ذلك:

١. العلاج الإيماني:

وهو أحسن العلاج وأعظمه، فإنه إن زُرِع الخوف من الله في قلوب النساء كان ذلك أدعى إلى ردعهن وأدنى ألا ينجرفن في الذي يجره عليهن قلة الحياء من مصائب، وهذا هو صنيع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وهو صنيع نبينا الأعظم ﷺ حيث إنه بغرس الإيمان في نفوس أصحابه ﵃ حقق بهم ما يشبه المستحيل في دنيا الناس، وصاروا سادة قادة بعد أن كانوا في الجاهلية لا قيمة لهم ولا رسالة عندهم.

وكذلك صنع بهند بنت عتبة رضي الله عنها التي كانت أشد النساء عداوة للإسلام فداواها بالإيمان حتى أصبح بيت النبي ﷺ أحب البيوت إلى قلبها واستقام أمرها رضي الله عنها.

والناظر إلى تاريخ نسوة الجاهلية يعجب من صنيع الإسلام بهن ومسارعتهن إلى الطاعة والحجاب والخَفْر والحياء، فهذه عائشة رضي الله تعالى عنها ذكرت نساء الأنصار فأثنت عليهن وقالت لهن معروفاً، وقالت:

لما نزلت سورة النور عَمَدْنَ إلى حُجُورٍ أو حُجُوزٍ فَشققنهن فاتخذنه خُمُراً".[1]

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه: كتاب اللباس: باب في قول الله تعالى ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾ (سورة الأحزاب: آية ٥٩). وذكر الإمام الخطابي بعد أن نصر رواية حجوز -بالزاي- أن الحجوز هي ما تشد به أوساط النساء: وانظر "عون المعبود": ١١/١٥٨.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما نزلت ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغِربان من الأكسية". (١)

فإن أريد علاج امرأة ما من مرض قلة الحياء فليس هناك أجل ولا أعظم من البدء بتعميق الإيمان في قلبها وغرس اليقين في صدرها ثم لتعالج بعد ذلك من أي مرض خُلُقي أو انحراف سلوكي.

٢. التربية القويمة:

إن للتربية الجادة القائمة على قواعد الإسلام وضوابطه العظام وآدابه الجليلة هي من الوسائل الناجعة في تنشئة الفتيات على الحياء؛ ذلك أن العود الرطب يمكن تعديله أما إن صلب واشتد وقسا فهيهات هيهات أن يعالج إلا أن يشاء الله تعالى.

---

(١) المصدر السابق والأكسية جمع كساء، وشُبهت الأكسية بالغربان لسوادها، وانظر "عون المعبود" ١١/١٥٩.

والتربية لابد أن تقوم على دعائم من الإسلام متينة، وتأخذ بأصوله في تعهد البنات، وهذا أمر معلوم.

ولابد من اجتماع البيت والمدرسة على التربية بحيث يكمل البيت عمل المدرسة، وتكمل المدرسة عمل البيت، فهذا من أهم عوامل إحسان التربية وضبطها.

لكن يثور سؤال هاهنا: هل البنت التي لا تستجيب لهذه التربية -لسبب ما- تُترك فلا تؤخذ بغيرها، وأقول: إن هذا السؤال يثور في بعض الأحيان، وهناك من الصالحين مَن يذهب إلى أن المرأة -سواء أكانت بنتاً أم زوجاً أم أختاً- إن تُعهدت بالتربية فلم تقبل فليس لأحد إجبارها على الالتزام بحدود الإسلام والحياء، وهذا مذهب غريب في التربية، وقد رأيته عند بعض الصالحين في أوروبا وأميركا كثيراً وفي بعض البلاد العربية، ونسي هؤلاء أن الله تعالى يزع -أي يدفع ويمنع- بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وأنه ينبغي على السلطان

القائم على المرأة -وهو هاهنا وليها- أن يأخذها بتعاليم الإسلام فإن أبت فلابد أن يقسرها على الالتزام بما تؤدي إليه التربية والحياء، وإلا فهل يتركها لتعيث في الأرض الفساد بدعوى أنها غير مقتنعة، وأين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأين مسؤولية الولي عن موليته؟

ولقد رأيت زوجات وبنات يمشين في الشارع بلا حجاب فلما سألت من كان ينبغي أن يقوم عليها بالاحتساب، أجاب: إنها غير مقتنعة، وأنا لا أريد أن أجبرها.

فسبحان الله ما أبرد هذا الجواب وما أبعده عن الصواب، لكن التبعة في هذا على نمط التفكير الغربي الذي أُشربه هؤلاء وأُعجبوا به، ونسوا تعاليم الإسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على أيدي السفيهات المتمردات، وقسرهن على الحق قسراً.

وإنه ينبغي في أمثال أولئك النسوة أن يستعمل معهن اللين والوعظ والنصح فإن لم ينفع فالشدة والحزم الذي لابد منه في حفظ

شعائر الإسلام وشرائعه، فالإسلام دين فيه اللين والرقة واللطف وفيه الحزم والشدة والقوة، فكما أنه لا ينبغي أن يوضع الحزم مكان اللين فلا يصح أن يوضع اللين مكان الحزم، فكلا الصنيعين خطأ محض.

ـ وإن من التربية للنفس على الحياء مخالطة النساء الحَيِيّات، والأخذ من سمتهن وهديهن، والتعرف على طرائقهن في باب الحياء، فهذا من أعظم وأحسن أنواع العلاج، والله المستعان.

٣. القدوة الحسنة:

إن النشء الجديد من الفتيات إذا وجدن قدوة حسنة من النساء اقتدين بها غالباً، نحو الأمهات، والأخوات الكبيرات، والمدرسات، وإن وجدن من أولئك تهاوناً تهاونّ غالباً كتهاونهن وربما أشد.

ولذلك كان من المهم جداً أن تحافظ القدوات من النساء -وأولهن الأمهات- على مكانتهن في المجتمع، خاصة أمام الصغيرات

والناشئات، فلا يصنعن إلا الصنيع اللائق هن، فلا يلبسن إلا اللائق المحتشم أمام بنات جنسهن، ولا يفعلن إلا ما يمليه عليهن صحيح الحياء، ولا يتهاونّ بدعوى جذب قلوب البنات فإن لهذا غيرهن من النساء أما هُنّ فلا يفعلن، فإهن منظور إليهن من قبل سائر الفتيات، مُحْصىً عليهن أفعالهن، مُراقبة حركاهن وسكناهن، فإن ضيعن أو هاونّ أو قصرن كان غيرهن إلى النقائص أسرع وها أَوْلع، وعليها أحرص، فاللهَ اللهَ أيتها الأخوات القدوات لا تؤتى صغار الفتيات من قِبَلكن وبسببكن.

وكم ينقل عن بعض من انتصبن قدوة في المجتمع لباسٌ غير لائق في الأفراح والحفلات، أو إدامةٌ للمزاح بحيث تسقط الهيبة، أو ذكر للنكات التي لا تليق وتَجرح الحياء.

وربما صنع أولئك النسوة ذلك بدافع كسب قلوب الفتيات الصغار ودعوهن لكن ينبغي أن يحذر من هذا المنهج فإنه لا يصلح من

القدوات إلا الرزانة، أما إن خلون بنظائرهن وأهل ودهن من أمثالهن فلهن التخفف وترك التحفظ. والله أعلم.

٤. التغيير بالدعوة:

إن من الأساليب الناجحة في هذا الباب الدعوة بالرفق واللين، وبيان الخطأ في موضعه زماناً ومكاناً، فلا يترك الأمر المخل بالحياء إن ظهر بلا تصحيح، بل يُسارع إلى سد الثغرة وتدارك الثلمة قبل الاستفحال، واتساع الخرق على الراقع، ولات حين مناص.

وإن من أهم الوسائل الدعوية المحاضرات والندوات والدروس الخاصة والعامة، والمسابقات التربوية، والمخيمات إلخ ...

والأساليب الدعوية النافعة كثيرة فليؤخذ بها أو بأحدها في علاج هذه الظاهرة.

٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن خلق الحياء هو من المعروف الذي يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ، وإن ترك الحياء هو من المنكر الذي يبغضه الله تعالى ورسوله ﷺ، ولهذا فإن الاحتساب على مضيعات هذا الخلق إنما هو أمر شرعي لا يستغرب ولا يستنكر.

والمجتمع المسلم في هذا العصر قد قَلّ فيه الاحتساب، وندر الأمر فيه بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك فشا فيه المنكرات وقَلّ فيه الحياء، ولا علاج لهذا الأمر إلا بالقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على يدي مضيعات الحياء بدون تهاون، وهذا مرده إلى رجال الحسبة وإلى النساء الداعيات القدوات أيضاً، فلا يتهاونَ في هذا الأمر، فقد قال النبي ﷺ:

"والذي نفسي بيده لَتَأْمُرُنّ بالمعروف، ولتنهوُنّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعُنّه فلا يستجيب لكم"[1].

ولو أن أول امرأة حضرت الأفراح والحفلات بلباس غير شرعي أُنكر عليها إنكاراً جاداً لفكرت النساء الأخريات ألف مرة قبل تقليدها، ولو أن كل من فعلت فعلاً مخلاً بالحياء بودر بالاحتساب عليها لما انتشر السوء بين المسلمات وقلة الحياء.

٦. عودة القوامة للرجل:

إن الله سبحانه وتعالى جعل القوامة على المرأة للرجل، فإن نزل الرجل عن هذه القوامة للمرأة فسد حال المجتمع واضطرب شأنه، وتفسخت عراه، والرجل مسؤول أن يأخذ على أيدي محارمه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد وغيره عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وهو حديث حسن: انظر المسند: ٣٨/٣٣٢.

ويقيمهن على سواء الصراط، ولا يأخذه في ذلك ضعف ولا يؤخره عنه لوم لائم.

وإن أعجب فإني أعجب لحال بعض النساء في الأسواق ولباسهن المزري فأقول: وأين آباؤهن وإخوانهن وأزواجهن -إن كن ذوات أزواج- وعندي أن الرجل ينبغي إذا سمح لبناته أو زوجه أن ينـزلن إلى الأسواق أو إلى أي مكان خارج المنـزل أن يراعي الآتي:

١. أن ينظر في لباسهن، وما يلبسنه تحت العباءة.

٢. ألا يسمح لهن بالنـزول إلا معه أو مع الموثوق به من إخوانهن أو أبنائهن.

٣. أن يغلب على ظنه سلامة المكان الذي يذهبن إليه من الآفات والسوء.

٤. أن ينـزلن في النهار ويبتعدن عن النـزول في الليل قدر الإمكان.

إنه إن صنع ذلك كان حرياً أن يبرأ من التبعة، ويسلم من التقصير.

٧. إقامة حملات للحفاظ على الحياء في الجامعات والمدارس والأحياء:

إن من الأساليب الناجحة في هذا الباب إقامة ما يسمى بـــ "الحملات" التي تطالب المرأة بالحياء وتلح عليه، وتزينه لها، وتنفرها من ضده، وتبين لها عواقب التفريط فيه، والتساهل والتهاون شأنه، فمثل هذه الحملات لها فوائد جليلة.

وإن الحملات التي تستهدف مدارس البنات لها مزايا عديدة لكن إذا اجتمعت على تنفيذها الإدارة والمدرسات، وكن جميعاً في هذا الأمر قدوات.

وينبغي استهداف الأحياء بحملات مماثلة، يقوم عليها المسجد والبيت، ففي المسجد يُذَكّر الآباء والرجال عامة بمسؤولياتهم في هذا

الأمر، في الخطبة والدروس، وفي البيت يقوم على هذه الحملة الأبوان ومن استطاع من الأبناء والبنات.

وهذه الحملات تثير في النفوس الاهتمام بمضمونها، وهي تقوم مقام النذير العُريان الذي يحذر قومه الخطر الداهم، وأقرب وصف لها هو حالة الطوارئ التي تنذر من شر أو تحذر من وقوعه.

وقد قام أحد المشايخ الفضلاء في مصر -وهو الدكتور محمد المسير، أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالأزهر- قام بإطلاق "حملة قومية لنشر الحياء في الشارع المصري بعد انتشار ظاهرة خدش الحياء والممارسات المثيرة والمستفزة في الشارع سواء في الملبس أو السلوك، وقال الدكتور إن الحملة تدعو إلى الحياء، وتنادي بالأخلاق، وتطارد الذين يشيعون الفاحشة في وسائل الإعلام، وتحتقر هؤلاء الذين يخدعون الشباب باسم الفن، مشيراً إلى أن ظهور الفنانات والراقصات بملابس مثيرة تخدش الحياء ويشجع الشابات على تقليدهن

وارتداء تلك الملابس والظهور بها في المناسبات والحفلات العامة دون مراعاة للقيم والتقاليد، بصورة تتحدى مشاعر الشرفاء ذوي الحياء"[1].

ثم قال الدكتور في موضع آخر عن سبب الحملة إنه "تردي الأوضاع الأخلاقية التي وصلت إليها الأمة الإسلامية، واختفاء صفة الحياء من الشارع العربي، لافتاً النظر إلى أن كثيراً من الفتيات يقلدن بعض الفنانات اللائي يظهرن بشكل سافر على الفضائيات العربية مما يدعو إلى الفجور، مما حدا لإطلاق حملة مضادة تدعو إلى الحياء.

وسوف تمتد الحملة إلى باقي الأقطار العربية عبر مناصرين لها وللفكرة التي تحمس لها دعاة آخرون رأوا أهمية وضرورة لطرحها بهذا الشكل عبر إعلام ربما لا يلتفت إلى المجون مما يدعو إلى مبادرة من

(١) موقع أمان على الشبكة العنكبوتية: "الانترنت"، ونقل الموقع عن جريدة الجمهورية المصرية بتصرف يسير..

شأنها إصلاح حال الأسرة[1]، والتي يمثل الحياء النصيب الأكبر فيها، حيث يُعد قسيم التربية الأول وعامل البناء نحو مجتمع راقٍ.

وقال: كثيراً ما يتحدث الدعاة عن الحياء دون أن يتغير الوضع الحالي الذي عليه حال الأمة، ففكرنا جاهدين لإطلاق حملة يكون من شأنها مخاطبة المجتمع بلغة أفضل ولا تقتصر الحملة على الخطب والمواعظ كما كان يقوم الدعاة بذلك.

وقال الدكتور:

إن لغة الحياء أصبحت بعيدة تماماً عن اجتماعاتنا، حتى أننا نجد فتياتنا -إلا من رحم ربي- في بعض الجامعات سواء كانت المصرية أو العربية غير محتشمات بل يتباهين بملابس بعيدة كل البعد

(١) السياق مضطرب لكن معنى الكلام مفهوم.

عن الاحتشام، بل تدعو إلى إثارة بعض الشباب المسلم وترفع من شأن الرذيلة في مجتمعاتنا..."[1].

٨. إقامة حملات من خلال القنوات الفضائية الجيدة:

إن للقنوات الفضائية تأثيراً غير منكور في طبقات المجتمع كلها، ولكن لها في النساء تأثير خاص ومهم، فهن أكثر الناس متابعة لها ونظراً إليها، فلو استطيع الوصول إلى القنوات النظيفة التي يغلب خيرها شرها وإلى القنوات الإسلامية وإقناع القائمين عليها بإجازة مثل هذه الحملات في قنواتهم فلربما حصل من ذلك خير كثير إن شاء الله تعالى.

لكن ينبغي في الكلام عن الحملات هنا وفي الفقرة السابقة أن يُعنى باختيار المضمون، حتى يحسن وقعها ويطيب ثمرها، فلا يكون في

(١) موقع "أمان" على الشبكة العنكبوتية.

المضمون تهافت ولا تهاون، ولا مخالفة لما استقر عند الأمة من مفاهيم للحياء.

٩. مراعاة أدب غض البصر:

إن الشارع الحكيم أمر بغض بصر النساء عن الرجال، والرجال عن النساء، وذلك لأن إطلاق البصر بدون ضوابط يورث عواقب وخيمة، وقد قال جل من قائل: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[١]

وإن من أهم الأمور التي تورث المرأة قلة الحياء هو إطلاق بصرها في الرجال، وعدم تورعها في هذا الإطلاق بحيث يورثها أمراضاً عديدة على رأسها قلة الحياء أو ضياعه.

---

(١) سورة النور، آية ٣٠-٣١.

١٠. مقاطعة مَن تمادين في قلة الحياء:

إن مما يعين على ضبط الحياء في المجتمعات النسائية كالأفراح والحفلات، هو مقاطعة من تمادين في قلة الحياء، وعدم دعوتهن إلى تلك الأفراح والحفلات، وهذا آخر العلاج الذي هو كالكيّ، وينبغي قبل ذلك دعوتهن إلى الله تعالى ونصحهن وعظتهن مرات وكرات قبل أن يُقاطعن، ثم لا بأس إن قوطعن حتى لا يُعْدِين غيرهن بسوء فعالهن، وحفظاً لتلك المجتمعات النسائية من الأفعال غير المرضية.

وهذا نوع من الهجر الذي هو -إن كان في الله- قُربة إلى الله تعالى فقد قال النبي ﷺ:

"إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا: اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا

مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ۝ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾(١) ثم قال: كلا والله لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخُذُن على يدي الظالم، ولتأْطُرُنّه على الحق أَطْراً، ولتَقْصُرُنّه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم لَيَلْعَنَنّكُم كما لعنهم"(٢).

---

(١) سورة المائدة: آية ٧٨-٨١.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم: باب الأمر والنهي، وأخرجه الترمذي وقال: حسن غريب.

ومعنى لتأطرنّه: أي لتردنّه إلى الحق.

ولتقصرنه: أي لتلزمنّه.

وانظر "عون المعبود شرح سنن أبي داود": ٤٨٨/١١.

ولقد هجر جماعات من السلف كثيراً من الناس لذنوبهم التي لا يرتدعون عنها، فينبغي أن نصنع هذا وألا تأخذنا في الله لومة لائم.

ولقد جربت منهج الهجر هذا فوجدته مفيداً نافعاً في الارعواء والكف، وقد عاد إلي أشخاص ممن هجرت وقد صاروا أحسن حالاً، ولله الحمد والمنة.

١١. الابتعاد عن أماكن الترفيه السيئة:

إن مما يحفظ على النساء والبنات حياءهن حفظهن ووقايتهن من أماكن الترفيه والترويح السيئة التي ترتادها النسوة قليلات الحياء أو اللواتي ضيعنه بالكلية[١]، حتى لا يختلط الحابل بالنابل، وتُعدى النسوة والبنات الحييات بأولئك النسوة اللواتي لم يَعُدْن يُقمن وزناً للحياء.

---

(١) ضربت الدكتورة زينب الشرقاوي -حفظها الله تعالى- مثلاً على هذه الأماكن أنها المطاعم المختلطة، و"الكبائن" البحرية المختلطة، والأسواق والمحلات التجارية التي ترتادها كثير من النسوة لا لحاجتهن لكن لقضاء الأوقات بلا هدف صحيح ولا غاية حميدة.

هذا وينبغي على ولي الأمر أن يكون حازماً في هذا حتى لا يُضيع من يعول.

١٢. ضبط استخدام وسائل التقنية الحديثة:

لابد أن توضع ضوابط لاستخدام وسائل التقنية الحديثة، فمن ذلك:

أ. الجوال:

وينبغي ألا تقتنيه البنت[١] حتى تبلغ مبلغاً من الرشد يؤمن عليها معه من الانحراف أو سوء الاستخدام، وهذا أمر يعود للوالدين تقديره، فهو متفاوت من بنت لأخرى.

ثم إذا اقتنته البنت فإنها لا تترك دون مراقبة حتى يُتأكد من سلامة استعمالها للجوال، ويمكن أن يقوم بهذا أخواتها الأكبر منها سناً أو أمها.

---

(١) هذه الضوابط للأبناء أيضاً، لكني لم أذكرهم هاهنا لأن الحديث إنما هو عن البنات.

ب. القنوات الفضائية:

إذا احتيج في البيت لاستقبال البث الفضائي للاطلاع على القنوات الإسلامية فإنه ينبغي أن يكون هنالك جهاز استقبال (تلفاز) واحد يوضع في مكان بارز من البيت، وإذا أريد أن يؤتى بجهاز آخر فيوضع في مكان آخر بارز أيضاً بحيث يسهل مراقبة استعمال هذه الأجهزة.

ولا يصح أن توضع هذه الأجهزة في غرف النوم ولا في الغرف البعيدة عن مجرى الحياة اليومية في البيت.

جـ. الحاسب والانترنت:

وأما الحاسب فإنه يُتعامل معه كما يتعامل مع جهاز التلفاز المستقبل للقنوات الفضائية، وقد بينت هذا آنفاً، والحاسب إذا كان مرتبطاً بشبكة المعلومات "الانترنت" عظُم خطره فينبغي أن يُضبط استعماله ضبطاً جيداً.

١٣. مراعاة الضوابط الشرعية في منع الاختلاط:

إن الاختلاط بين الذكور والإناث في الوظيفة والدراسة قد جلب أسوأ العواقب للبلاد الإسلامية التي سلكت هذا المسلك الرديء، ثم إنه من أكبر العوامل التي تضيع الحياء وتذهب به، لذلك لابد من فصل تام بين الذكور والإناث في مراحل الدراسة كلها، وكذلك لابد من الفصل التام -ما استطيع إلى ذلك سبيلاً- بينهما في الوظائف والعمل، وهذا الصنيع -أي الفصل التام- هو السبيل، غالباً، لحفظ حياء الأنثى، وذلك أنها إذا اعتادت لقاء الذكور والحديث معهم وما يجره ذلك من التساهل فإن حياءها سيتأثر ولا شك.

١٤. تضمين المناهج الدراسية خلق الحياء[١]:

ينبغي أن يكون في المناهج الدراسية في المدارس والجامعات نصيب وافر من هذا الخلق الكريم، فيدرس على انفراد أو -إن صعب هذا- يدرس

(١) هذه فكرة الأستاذة الدكتورة آمال نصير وقد عبرت عنها بألفاظي.

ضمن مادة الثقافة الإسلامية أو الأخلاق الإسلامية، وينبغي أن يقوم على تدريسه أستاذات ومعلمات ملتزمات بهذا الخلق الجليل، ويُدَرسنه تدريساً يراعي الواقع، ويقف على جوانب الخلل ليعالجها معالجة تربوية قويمة.

المبحث السابع: ضوابط في مسألة حياء المرأة

هناك بعض الضوابط في مسألة الحياء يُرد بها بعض ما يمكن أن يَرِد من شبه، ويحل بها بعض المشكلات في هذا الباب، فمن ذلك:

١. الحياء لا ينافي القوة والمحافظة على الحقوق والواجبات:

إن مما قد يرد على مسألة الحياء أن المرأة الحيية يلزم أن تكون ضعيفة منكسرة، وهذا ليس بصحيح؛ فإن الحياء صفة كمال، والضعف صفة نقص فلا يجر التزام الكمال إلى النقص، بل المرأة مطالبة أن تكون قوية في تربيتها لأولادها وعنايتها بهم وأخذها على أيديهم إن قصروا.

ومطالبة بأن تكون قوية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومطالبة بأن تكون قوية مع زوجها إن حاد عن الطريق أو زل أو ضل.

ومطالبة بأن تكون قوية في الإنكار على المبتدعة والضلال.

ومطالبة بأن تكون قوية في العمل والدعوة لدين الله تعالى، ومطالبة بأن تكون قوية في سائر شؤونها إلا في المواضع التي تُشِينها القوة مثل علاقتها الخاصة مع زوجها، ومثل توددها لصويحباتها، ومثل الاعتذار والتراجع عن الخطأ، وهكذا...

وبعض النسوة يستحين إذا مد أجنبي إليها يده ألا تصافحه خاصة إن كان من أقربائها أو من أقرباء الزوج، وبعضهن يستحين من التحجب عن أقربائها أو أقرباء الزوج، وبعضهن يستحين من إنكار الغيبة والنميمة في المجتمعات إلى غير ذلك من وجوه الحياء التي لا اعتبار لها في الشرع، هذا وقد قال القاضي عياضي رحمه الله تعالى:

"والحياء الذي ينشأ عنه الإخلال بالحقوق ليس حياءً شرعياً بل هو عجز ومهانة، وإنما يطلق عليه حياء لمشابهته للحياء الشرعي"(١).

---

(١) من مقالة للدكتور حمدي شلبي في مجلة المجتمع، وقد نقل الدكتور عن "فتح الباري".

وقال غيره:

"والحياء من مواجهة الظلمة والفساق وزجرهم، وترك الجهر بالمعروف والنهي عن المنكر حياءً ليس بحياء وإنما هو عجز ومهانة"(١).

وقال القرطبي رحمه الله تعالى:

"قد كان المصطفى ﷺ يأخذ نفسه بالحياء ويأمر به، ويحث عليه، ومع ذلك فلا يمنعه الحياء من حق يقوله، أو أمر ديني يفعله؛ تمسكاً بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ وهذا هو نهاية الحياء وكماله، وحسنه واعتداله؛ فإن مَن فَرَطَ عليه الحياء حتى منعه من الحق فقد ترك الحياء من الخالق واستحيا من الخلق، ومن كان هكذا حُرم منافع الحياء، واتصف بالنفاق والرياء، والحياء من الله هو الأصل والأساس؛ فإن الله أحق أن يُستحيى منه، فليحُفظ هذا الأصل فإنه نافع"(٢).

---

(١) الموسوعة الفقهية: ١٨/٢٦٣.

(٢) "صلاح الأمة في علو الهمة": ٥/٥٥١.

وقال عُبيد بن عمير:

آثروا الحياء من الله على الحياء من الناس[1].

وخلاصة الأمر إن المرأة تستطيع أن تبلغ أعلى درجات الحياء مع كونها قوية في مواضع القوة، والله أعلم.

٢. الحياء وحسن التبعل[2]:

قد يمنع الحياء المرأة عن حسن التبعل لزوجها، وهذا أمر مذموم وليس بممدوح، فإن المرأة العاقلة هي التي تلبس لكل حالة لبوسها، وتقوم في كل مقام بما يصلح له، وحسن التبعل للزوج عبادة

(١) المصدر السابق: ٥/٥٥٢.

(٢) جاء في "تاج العروس": ب ع ل : تبعلت: إذا تزينت، والبِعال كناية عن الجماع وملاعبة الرجل أهله ... وبينهما مباعلة وملاعبة، وهما يتباعلان ... وامرأة حسنة الابتعال: إذا كانت حسنة الطاعة لزوجها ... وفي الحديث: "نعم إذا أحسنتن تبعل أزواجكن وطلبتن مرضاقم" وفي حديث آخر: "وجهاد المرأة حسن التبعل".

جليلة، وقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ واسمها أسماء بنت يزيد الأشهلية رضي الله عنها فقالت له:

"يا رسول الله، بأبي أنت وأمي: أنا وافدة النساء إليك، واعلم -نفسي لك الفداء- إنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي:

إن الله بعثك للرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلهك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات مخدورات، قواعد بيوتكم، ومَقْضَى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال فُضلتم علينا بالجمع والجماعات، وفضلتم علينا بشهود الجنائز وعيادة المرضى، وفضلتم علينا بالحج بعد الحج، وأعظم من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج لحج أو عمرة أو جهاد جلسنا في بيوتكم نحفظ أموالكم، ونربي أولادكم، ونغزل ثيابكم، فهل نشارككم فيما أعطاكم الله من الخير والأجر؟

فالتفت النبي ﷺ بجملته وقال:

هل تعلمون امرأة أحسنَ سؤالاً عن أمور دينها من هذه المرأة؟

قالوا: يارسول الله: ما ظنّنا أن امرأة تسأل سؤالها.

فقال النبي ﷺ:

يا أسماء افهمي عني: أخبري من وراءك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها لمرضاته، واتباعها لرغباته يعدل ذلك كله.

فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر وتردد: يعدل ذلك كله، يعدل ذلك كله[1].

٣. عرض المرأة نفسها على من تراه صالحاً لها:

إن مما لا ينافي حياء المرأة أن تخطب لنفسها من الرجال من تراه صالحاً لها، بواسطة أو بدون، أما بالواسطة فكما صنعت أم

(١) أخرجه ابن عبدالبر في الاستيعاب: ٤/١٧٨٨، والبيهقي في "شعب الإيمان": ٨٧٤٣ وأبو نعيم في "معرفة الصحابة": ٦/٣٢٥٩ والحديث وإن كان فيه ضعف لكن يشهد له جملة من الأحاديث ويشهد له عدة قواعد من قواعد الإسلام.

المؤمنين خديجة رضي الله عنها لما خطبت لنفسها رسول الله ﷺ وكان رسولها غلامها ميسرة، وأما بدون واسطة فكالواهبة نفسها لرسول الله ﷺ، فمنهن خولة بنت حكيم رضي الله عنها حتى قالت عائشة رضي الله عنها: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟[1]

وعن سهل بن سعد ﷺ قال:

جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني وهبت من نفسي فقامت طويلاً، فقال رجل: زوجنيها إن لم تكن لك بها حاجة ..."الحديث[2]

عن ثابت البناني قال: كنت عند أنس وعنده ابنة له، قال أنس:

جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض عليه نفسها قالت: يا رسول الله: ألك بي حاجة ؟!

---

(١) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد.

(٢) المصدر السابق: باب السلطان وليّ لقول النبي ﷺ زوجناكها بما معك من القرآن.

فقالت بنت أنس: ما أقلّ حياءها، واسوأتاه، واسوأتاه !!

قال: هي خير منك، رغبت في النبي ﷺ فعرضت عليه نفسها"(١).

وقال ابن المُلَقِّن رحمه الله:

"جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، وتعريفها رغبتها فيه لصلاحه وفضله، أو لعلمه وشرفه، أو لخصلة من خصال الدين، وأنه لا عار عليها في ذلك ولا غضاضة، بل ذلك زائد في فضلها لقول أنس لابنته: هي خير منك.(٢)

"لكن ينبغي ألا يكون ذلك جهراً، ومن غير إحراج للرجل، وبمراعاة ضوابط الحياء والحشمة والستر"(٣).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الرضاع: باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح.

(٢) "التوضيح لشرح الجامع الصحيح": ٢٤/٣٧٠.

(٣) مابين الأقواس من كلام الأستاذة الفاضلة نبيهة الأهدل بتصرف.

٤. البيع والشراء في الأسواق:

إن المرأة لها أن تبيع وتشتري في الأسواق بلا حرج إذا راعت الضوابط الشرعية وراعت ما ذكرته آنفاً في هذه الرسالة، ولا يُعد ذلك طعناً في حيائها، فقد كانت بعض النسوة يفعلن هذا في الصدر الأول وما بعده بلا نكير ولا تحرج.

٥. الحياء لا يمنع من السؤال عن الأمور المهمة:

إن الحياء خير وفلاح لكنْ لا ينبغي أن يمنع من السؤال عن المهمات في الدين والدنيا، وقد كانت النساء في صدر الإسلام يسألن رسول الله ﷺ عما يُشْكل عليهن، وقالت عائشة رضي الله عنها: "نعم النساء نساء الأنصار؛ لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين"(١).

ـــ وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت:

---

(١) المصدر السابق: كتاب العلم.

جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت:

يارسول الله: إن الله لا يستحيي من الحق: هل علي المرأة غُسل إذا هي احتلمت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، إذا رأت الماء"(١).

وقال ابن الملقن:

"يدل أنه لا يجوز الحياء عن السؤال في أمر الدين، وجميع الحقائق التي يُعَبِّد الله سبحانه عباده بها، وأن الحياء في ذلك مذموم"(٢).

ـــ وقد قال مجاهد رحمه الله مبيناً أن طالب العلم الذي يغلب عليه الحياء فلا يسأل فإنه يتضرر بحيائه هذا:

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الأدب: باب التبسم والضحك.

(٢) "التوضيح لشرح الجامع الصحيح": ٢٨/٥٠٠.

وكذا جاءت: لا يجوز، والأقرب: لا يمنع الحياء عن السؤال في أمر الدين؛ وقد نبهتني الدكتورة الفاضلة سناء عابد حفظها الله إلى ذلك.

"لا يتعلم العلم مستحيٍ ولا مستكبر"[(١)].

ـ وإليكم هذه الحكاية اللطيفة:

عن جعفر الصائغ قال:

كان في جيران أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل رجل ممن يمارس المعاصي والقاذورات، فجاء يوماً إلى مجلس أحمد يسلم عليه فكأن أحمد لم يرد عليه رداً تاماً وانقبض منه، فقال له:

يا أبا عبدالله: لم تنقبض مني؟ فإني قد انتقلت عما كنت تعهدني برؤيا رأيتها.

قال: وأي شيء رأيتَ؟

قال: رأيت النبي ﷺ في النوم كأنه على عُلُوٍّ من الأرض وناس كثير أسفلَ جلوس، قال: فيقوم رجلٌ رجلٌ منهم إليه، فيقول:

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم.

ادع لي فيدعو له، حتى لم يبق من القوم غيري. قال: ما أردت أن أقوم فاستحييت من قبيح ما كنت عليه.

قال لي يا فلان: لم لا تقوم إلي فتسألني أن أدعو لك؟

قال: قلت: يا رسول الله: يقطعني الحياء لقبيح ما أنا عليه.

فقال: إن كان يقطعك الحياء فقم فسلني أدْعُ لك؛ فإنك لا تسب أحداً من أصحابي.

قال: فقمت فدعا لي، فانتبهت وقد بغّض الله إليّ ما كنت عليه.

قال: فقال لنا أبو عبدالله: يا جعفر، يا فلان: حدثوا بهذا واحفظوه فإنه ينفع"[1].

- - - - - - - - -

(١) "صلاح الأمة في علو الهمة": ٥/٥٥٠.

خاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا الذي رأيت جمعه عن حياء المرأة وضوابطه وأهميته ووسائل علاج ضعفه، والأمر قابل للتطويل لكني آثرت الإيجاز؛ فإن العرب تقول إن كثرة الكلام ينسي بعضه بعضاً، وقد رأيت أنه كلما صغر الكتاب كان ذلك أدعى إلى قراءته واستيعاب ما فيه، خاصة في هذا الزمان الذي غلب فيه على الناس السرعة وقلة الصبر وضيق الصدر وقصر النفَس.

وأدعو أخواتي إلى العناية بهذه الرسالة ونشر ما فيها من مفاهيم وضوابط وأنواع العلاجات، فإن الكتب لا تؤلف إلا لهذا، ولا تكتب إلا ليستفيد الناس منها، ولم أدع من قبل في كتاب من كتبي

إلى نشره، وأنفر من هذا كل النفور لكني في كتابي هذا لا يسعني إلا هذا الصنيع فإن الأمر أعظم من نفوري وأكبر من عدم استحساني في نفسي هذا الصنيع واستهجانه، فقد اتسع الخرق على الراقع، ولم أر في الكتب التي اطلعت عليها ما يغني عن هذا الكتاب، فلذلك أدعو إلى نشره نشراً واسعاً والعناية به، والله تعالى أسأل ألا يجعل ذلك من باب الدعاية لنفسي، وأن يرزقني الأجر عليه في الدنيا والآخرة ويؤنسني بثوابه في رَمْسي، والله الموفق وهو المستعان، وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به.

وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرست المصادر والمراجع

- "تاج العروس من جواهر القاموس: "الزبيدي: محمد مرتضى (ت١٢٠٥)".

نشر وزارة الإعلام الكويتية.

- "التحرير والتنوير": الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣).

نشر الدار التونسية للنشر. سنة ١٩٨٤.

- "التذكرة الحمدونية": ابن حمدون = محمد بن الحسن. تحقيق الدكتور إحسان عباس.

نشر معهد الإنماء العربي بيروت، والدار العربية للكتاب. طرابلس ليبيا، تونس.

- تفسير الفخر الرازي = مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٤)

نشر دار الفكر بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٥-١٩٨٥.

- "التوضيح لشرح الجامع الصحيح": ابن الملقّن = عمر بن علي (ت ٨٠٤). تحقيق دار الفلاح.

نشر وزارة الأوقاف القطرية.

- "حفظ اللسان": وحيد عبدالسلام بالي.

توزيع الجريسي. الطبعة الثانية ١٤١١.

- "روح البيان" إسماعيل حقي البورصوي (ت ١١٣٧).

نشر دار إحياء التراث العربي بيروت.

● "روضة العقلاء ونزهة الفضلاء": أبو حاتم البُسْتي=محمد بن حِبّان (ت٣٥٤).

تحقيق علي بن مشرف العمري. نشر مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة.

● "زاد المسير في علم التفسير": أبو الفرج عبدالرحمن بن علي= ابن الجوزي.

نشر المكتب الإسلامي: بيروت، دمشق الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٧/١٩٨٧.

● "شعب الإيمان": البيهقي = أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨).

تحقيق الشيخ مختار الندوي. نشر دار السلفية. بومباي. الطبعة الأولى سنة ١٤١٢.

- "عون المعبود شرح سنن أبي داود": شمس الدين محمد آبادي.
  ضبط وتحقيق الأستاذ عبدالرحمن عثمان.

نشر دار الفكر. بيروت. الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩/١٩٧٩.

- "عيون الأخبار": ابن قتيبة الدِيْنَوَرِيّ = عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦).

نشر دار الكتاب العربي. بيروت.

- "في ظلال القرآن": سيد قطب. نشر دار الشروق. الطبعة الثانية عشرة. سنة ١٤٠٦/١٩٨٦.

- "كشكول الأسرة": أ.مازن الفريح.

نشر دار الأندلس الخضراء. جدة. الطبعة الأولى سنة ١٤١٨/١٩٩٧.

- "الكليات": أبو البقاء الكفوي = أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤). عناية د.عدنان درويش ومحمد المصري.

نشر مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤١٢/١٩٩٢.

- "لطائف الإشارات" الإمام القشيري. تحقيق د.إبراهيم بسيوني.

نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣.

- "المختار المصون من أعلام القرون" لواضع هذا الكتاب.

نشر دار الأندلس الخضراء. جدة. الطبعة الأولى سنة ١٤١٥/١٩٩٥.

- "المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية" لواضع هذا الكتاب.

نشر دار الأندلس الخضراء. جدة. الطبعة الأولى سنة ١٤٢١/٢٠٠٠.

- "المستطرف في كل فن مستظرف": الأبشيهي = محمد بن أحمد (ت٨٥٠).

تحقيق د.مفيد قميحة.

نشر دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣/١٩٨٣.

- "المعجم الوسيط" نشر مجمع اللغة العربية القاهرة.

- "منهاج اليقين شرح كتاب أدب الدنيا والدين"

للماوردي = علي بن حبيب، ومنهاج اليقين لأويس الأرزنجاني.

دار الباز. مكة. سنة ١٤٠٠.

- "الموسوعة الفقهية" نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الكويت.

الطبعة الثانية ١٤١٠/١٩٩٠.

- "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور": إبراهيم بن عمر البقاعي.

نشر دار الكتاب الإسلامي. القاهرة. الطبعة الثانية ١٤١٣/١٩٩٢.

• "النهاية في غريب الحديث والأثر": ابن الأثير الجزريّ = المبارك بن محمد (ت ٦٠٦).

تحقيق الأستاذين: الطاهر الزاوي، ومحمود الطناحي.

توزيع دار الباز. مكة المكرمة.

• هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً": محمود محمد الخزندار.

نشر دار طيبة. الرياض. الطبعة الحادية عشرة: ١٤٢٨.

فهرس الموضوعات